حمزة مجوز
ليسانس في الحقوق
دبلوم في الحقوق العامة



السودان وعلاقته بمصر



وضعت باشراف الدكتور عدنان العجلاني
استاذ القضاء الاداري في كلية الحقوق في الجامعة السورية

الجامعة السورية عام ١٩٥٣-١٩٥٤

معـز مجـوز

ص في الحقوق

وم في الحقوق العامة

السودان وعلاقته بمصر

وضعـ

بإشراف الدكتور عدنان العجلاني دكتور في الحقوق استاذ القضاء الاداري في كلية الحقوق في ((الجامعة السورية)) .

معـتز مجـسوز
فـرع الحقـوق العامـة

الموضوع ـ السودان وعلاقته بمصر

- السودان ـ تأليف عبد الرحمن الرافعي بك
- الحكم المصري في السودان تأليف محمد فؤاد شكري
- مصر والسودان ـ تأليف عمر طوسون
- وحدة وادي النيل تأليف رئاسة مجلس الوزراء
- مسألة السودانيين ـ تأليف عمر طوسون
- السيف والنار في السودان تأليف سلاطين باشا
- صفحة من تاريخ السودان الحديث تأليف محمد فؤاد شكري
- قضية وادي النيل تأليف بيانات محمود فهمي النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن العام ١٩..

- وحدة وادي النيل تأليف محمد عوض .
- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية تأليف عبد الرحمن الرافعي
- الكتاب الازرق عن مصر لعام ١٨٩٨ تأليف مجموعة الرسائل المتبادلة بين انكلترا وفرانسا .
- الكتاب الازرق عن مصر والسودان ١٩٠١ تأليف المستر اللورد كرومر عن مصر والسودان .
- الكتاب الازرق عن مصر والسودان لعام ١٩٠٣ تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان .
- تحرير وادي النيل تأليف مصطفى كامل .
- مذكرة تاريخية عن مصر والسودان والملحقات تأليف رئاسة مجلس الوزراء .

الفهـــــــــرس

. . . .

ـــة ٠

علاقة مصر بالسودان ومظاهر الوحدة بينهما في العصور القديمة ٠

شاءت الطبيعة ان تجعل من وادي النيل وريدا من اوردة الحياة في القارة الافريقية تجمع بين قلبها في اعالي
ن واطرافها عند شواطيء بحر الروم ثم ربط شقي الوادي مصره وسودانه برباط لا تنفصم عراه وقاد اسـ . . ـ
ون القدماء سودان الوادي من الشلال الى الخرطوم اثيوبيا واسماه المصريون اتفسيم الاقاليم الجنوبية ٠
طاء حقيقة اوجدتها طبيعة الخلق والحياة في القارة الافريقية وفطن اليها رجال التاريخ الذين كتبوا فـــــي
الوادي وفي مقدمتهم البريطانيون فهذا اديسون يقول (ارتبط تاريخ السودان دائما بتاريخ
ارتباطا قويا كان او ضعيفا) ٠ وهذا ريسنر يقول (ولما كانت مصر تتصل بوسط افريقيا عن طريق اثيوبيا
ن تاريخ هذا الاقليم لا يمكن فصله كما عن تاريخ مصر كما ان ذلك التاريخ لا يمكن فهمه الا على ضوء تاريخ
ـة اثيوبيا الكبرى من ناحية الشمال ٠
ثم انظر الى قول المؤرخ البريطاني بدج (والواقع ان السودان اعتبر من العصور القديمة امتدادا لمصر
عدت عوامل الطبيعة اهل الشمال منذ قومتهم على بناء الحضارة فاندفعوا بركابها في خطى واسعة سريعة بينما
ـحاب الجنوب على حالهم من البداوة الاولى وغشيتهم الحياة المضطربة امدا طويلا ٠
وتشير اقدم المخلفات الانسانية على ضفاف النيل في شقي الوادي الى وجود الصلات بين اهل الشمال واهـل
فقبور المصريين قد وجدت عند دكة من اقاليم النوبة السفلى قبل عام ٣٤٠٠ ق م كما دلت الابحاث التاريخيـــة
فجر التاريخ على ان المنطقة التي تقع بين الشلالين الاول والثاني قد كانت معمورة باقوام من جنس المصريين
يسكنون شمال الوادي مما يلي اسوان وكان اهل دنقلة من حول الشلال الرابع من نفس الجنس الا انهم اختلطوا
ل السودان البعيد التي كانت تتردد على تلك البقاع او تعيش على بعد قريب منها ولما كان بقاء السودانيين
ـليهم من البداوة الاولى يحرضهم دائما الى اغارة القبائل المتبربرة من شمال الوادي اضطر المصريون الى الاكثار
حملات العسكرية على تلك البقاع لتأمين طرق القوافل والمحافظة على سلامة حدود الوادي ٠ والعلاقات التجارية
نشأتها مصر عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد مع دنقلة تفتح اولى صفحات الحوادث التاريخية التي تسجل الامتزاج بـــين
ن والسودانيين وبين اسناد التاريخ ما يشير الى ان فرعون مصر (زوسر) رأس الاسرة الثالثة قد اخضع القبائـل
ي شمال النوبة ثم مد حدود مصر الى الجنوب من اقاليم النوبة السفلى ولما عادت بعض القبائل تستأنـــــف
الثورة ايام (سنفرو) خلف زوسر اضطر ان يحمل على تلك البقاع حملة شعواء وكان ذلك في عام ٢٩٠٠ ق م ٠
تائج هذه الحملة الى انها تخطت البقاع الواقعة بين الشلالين الاول والثاني الى بقاع دنقلة ولم يكن غرضـــــها
وانما كان رغبة صادقة في اقرار السلام ونشر الامن وتوطيد العلاقات بين القطرين ٠
وليس ادل على ذلك من ان (سنفرو) قد زوج احد احفاده بأميرة من نساء النوبة كما تشير بذلك الى الرسوم
ودة على قبره وليس المهم ان نعرف فيما اذا كانت تلك الاميرة من اقليم دنقلة او مما وراءها من بقاع وانما الـذي
حقا ان العلاقات بين شقي الوادي ٠٠٠٠

يتبـــع /٠٠٠٠٠

تتم يومئذ على فكرة الاستعمار والاذلال وانما قامت كلها على اسس من الود والتقريب ٠

وتستمر العلاقات قائمة بين شقي الوادى كما تشير اليه اكثر الصور والرسوم على آثار الاسرتين الرابعة والخامسة
ى الرغم من اضطراب الاحوال السياسية في اوائل ايام الاسرة الخامسة واواسطها لم يفت ملوكها ان يلتفتوا الى اقاليم
جنوب يشير الى ذلك تسجيل اسم فرعون مصر (اوسر كاف) على صخور النوبة ٠

وقد اهتم ملوك هاتين الاسرتين اهتماما كبيرا بجنوب الوادى فبعثوا الى اقاليمه بكثير من الحملات التي بلغت
مال ودارفور والكونغو ٠

ومنذ ايام الاسرة السادسة بدأت بعثات الكشف والتجارة تجوب قلب افريقيا امثال خوفحور وهو اشهر الرحالة
صريين في ذلك العهد وقد جاء في اخباره انه قام باربع رحلات موفقة الى قلب افريقيا وفي كل منها كان يسلك طريقا
التي سلكها من قبل ٠

من ذلك نرى ان القارة الافريقية كما يسميها علماء الجغرافيا والتي اتعبت الرحالين من اهل اوروبا في مطلع
القرن التاسع عشر حينما سلكوها للكشف عن منابع النيل لم تكن غامضة على قدماء المصريين وان ما قدر لامثال ليفنجستون
وستانلي وغيرهما ان يروه في صدر القرن التاسع عشر قد رآه خوفحور وامثاله قبل اربعة الاف عام ٠

ومنذ ايام الدولة القديمة نسمع بسلطان حاكم الجنوب يدير شئون اقاليمه من ادفو الى اقصى ما بلغ المصريون
من جنوب الوادى وكان مقره في جزيرة فله وكان يختار من رجال الدولة القادرين الذين يلمون بلهجات القبائـــــل
السودانية ليكون بمثابة حلقة الوصل بين اهل الشمال واهل الجنوب في تدبير كافة شئون التجارة والادارة والسياســـة

ولما اضطربت امور مصر في اواخر الدولة القديمة واصيبت بالانحلال السياسي اهمل شأن الجنوب الى ان نهضت
على يد امنمحات الاول عاهل الدولة الوسطى الذى اقام اسرته في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ٠ واخذ يوء من حـــدوده
الجنوب ويعيد اليه استقراره حتى ان ولده سنوسرت قام بحملات الى بلاد النوبة ودنقلا ليطهرها من الفتـــن
واحداها بنفسه عام ١٩٦٣ قبل الميلاد فانتشر السلام وعم الامن في اقاليم النوبة والسودان وجنوب حلفا وغـــدت
عاصمة لحاكم الجنوب ٠

ظل السودان هادئا واستقرت احواله السياسية اكثر من ثمانية عاما الى ان ثارت بعض القبائل السودانية —
..ونة النوبة ولكنها اطفئت الثورة وهي في مهدها على رأس جيش سنوسرت الثالث عام ١٨٧٩ ٠

ثم تدور دورة الفلك وتصاب مصر بنكسة من نكسات الانحلال السياسي فيجتاحها الهيكسوس عام ١٧٠٠ قبل
الميلاد لان المصريين ما كادوا يتخلون من حكم الهكسوس عام ١٥٨٠ قبل الميلاد حتى استعادوا امتزاجهم بالســودان
في عهد احمس الاول الذى رد على الوادى وحدته ولخلفائه من ملوك الاسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشرة جهود جبارة
في المحافظة على كيان الوادى والعمل على رفاهية مصره وسودانه ٠

وقد ظلت مصر تحمل رسالة الوحدة بينها وبين الاقاليم الجنوبية في عهد الدولة القديمة التي انتهت عام ١٤٢٣
قبل الميلاد ٠ وعلى المعبد الكبير في الكرنك نقوش تدل على ان بعثات تحتمس الاول عام ١٦٦٧ قبل الميلاد قد وصلت
الى منطقة البحيرات التي ينبع فيها النيل كما ثبت ان تحتمس احد ملوك هذه الاسرة كان يلقب في عهد ابيه امنحــوت
الاول باسم الامير (كوش) وهي الكلمة المصرية القديمة التي تعبر عن الاقليم الواقع جنوبي وادى حلفا ٠

يتبـــــع

ومن الثابت تاريخيا ان أول مملكة سودانية قامت في السودان عام ٧٥٠ قبل الميلاد كانت متأثرة تأثرا قويـــا بثقافة مصر وديانتها وانها اتخذت (نباتا) على مقربة من مروة مقرا لها وان الملك بعنخي من ملوك هذه الاسرة وسلالتهم قد حقق الوحدة مع مصر وقدر له أن يخلي الغاصبين عن شمال الوادي ويسترجع له وحدته وكان ذلك ٧٤٠ قبل الميلاد

وعندما غزت آشور مصر عام ٦٦١ قبل الميلاد انسحب الحكام السودانيون الى السودان وظلت سلالتهم نحـو الف عام تحكم المملكة المحيطة بمروى الى عام ٣٥٠ قبل الميلاد .

وقد عاد المصريون الى تحقيق وحدتهم مع السودانيين بعد دخول الاسلام الى مصر في عام ١٣٤٠ بعـــد الميلاد اذ اسقطوا المملكة التي كانت قد اعتنقت المسيحية في شمال السودان واتخذت دنقلا مقرا لها .

وفي عام ١٢٨٦ ميلادية أي في عهد دولة المماليك البحرية يد الظاهر بيبارس الوحدة بين الشعبين النيليين النوبة وسواكن .

وفي القرن الخامس عشر حلت اسرة مالكة اسلامية اتخذت سنارا مقرا لها محل الاسرة المالكة الجنوبية التي لا تزال معتنقة المسيحية وتوطدت أركان الاسلام في ربوع السودان .

ويدعي الاخصائيون في علم الاجناس ان العرب هم الذين احدثوا اهم انقلاب جنسي في شعوب افريقيـا الا في الشعوب النيلية . ففي الشمال والشرق ترك العرب اثرا واسعا راسخا بنشر الدين الاسلامي في جميع انحاء السودان . كما ان الامتزاج بين الليبيين والزنوج قد اثمر جنسا يدين بالاسلام ويقطن شاطئ افريقيا الفرنسي شمال النيجر الى حوض النيل . وكما احدث العرب اهم انقلاب جنسي في شعوب افريقيا باختلاطهم باهلها احدثوا ابرز اثر في تاريخها وقد بدأ غزو العرب للقارة الافريقية في القرن السابع والتاسع والعاشر بعد الميلاد . كان عدد العرب المسلمين في افريقيا قليلا ولكن هجرتهم اليها زادت في القرن الحادي عشر وامتزجوا بالبربر الذين كانوا قـــد اصبحوا يتحدثون باللغة العربية كلغة اصلية يدينون بالاسلام . وامتد النفوذ العربي الى الجنوب عبر الصحراء واستقروا في شرق افريقيا واتضح ان العرب كانوا قد وصلوا اليه من قبل واستغلوا اراضيه الغنية كمباسا وزاولوا التجارة في الوقت الذي كانت تجهل فيه اوروبا كل هذه الاقطار الافريقية كما كان يجهلها عرب شمال افريقيا .

وقد تجلى في العرب الذين هاجروا الى افريقيا ما امتاز به جنسهم من روح المغامرة والتحمس في بث الدعوة للاسلام وحفزتهم هذه الميزة على اكتشاف مجاهل القارة واعانتهم استعمال الجمل في قطع المسافات الطويلة عبـــر الصحراء فامتد نفوذهم الى سين جامبيا وحوض النيجر الاوسط ودانت تومبكتو بالاسلام عام ١٥٩١ .

واول وصف علمي لشاطئ افريقيا الشرقي هو وصف الرحالة بن بطوطة الذي وصل اليه عام ١٣٣٢ وكان فيـم السائح السويسري جون لويس بركار ( ) ما يؤكد سيطرة العرب التامة على السودان وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك كان في كتابات العلماء الذين رافقوا الحملة المصرية سنة ١٨٢٠ لاول نوع كد فتح العرب للسودان وانهم بلغوا جنوبا من نهر السوباط .

الســودان قبيـــل الفتـــح المصـــري

لم يكن تاريخ السودان واضح المعالم قبل ان تنشر اسفار السائح السويسري جون لويس بركار الذي زار بربـــر الدامر وشندي وتتبع مجرى نهر عطبرة حتى بلغ قوز رجب ثم زار التاكه وذهب منها الى سواكن في طريقه الى الحجـاز

يتبـــــع

ثم عاد الى القاهرة بعد ان استغرقت رحلته اكثر من عامين ما بين ١٨١٣ ـ ١٨١٥ اما نشر اسفار (بركار) فلم يتم الا في
عام ١٨١٩ وحيث اعقب نشرها وبعد عام واحد ان ارسلت مصر بامر عاملها محمد علي باشا حملتها على السودان عام ١٨٢٠
من كانون الاول . ويمكننا ان نجمل تاريخ السودان قبل الفتح المصري بناء على ما كتبه بركار ومن رافق الحملة المصرية
من علماء وبحاثة او اعقبت اسفاره هذه الحملة امثال انجلش ( ) الاميركي وكايو (
الفرنسي وفيناتي ( ) الايطالي وهنبري ( ) وادنجتن (
الانكليزين . ان السودان في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت خاضعة لسيطرة العرب فقد بلغ العرب جنوبا من نهر
السوباط و بحر الغزال ووصلوا الى الدرجة العاشرة شمالي خط الاستواء واضطروا الى التوقف بعد هذه الدرجة لما لاقوا
من مقاومة من قبل قبائل الدنكا والشيلك والنوير والباري والنيام نيام وكلها من الزنوج . وقد استطاع العرب الفاتحون ان
يخلفوا في هذه البلاد آثارا عميقة دينية وسياسية واجتماعية . فالدين الاسلامي انتشر في هذه البلاد وقامت الدويلات
بحياة حياة ارقى مما كانت عليه قبل دخول الحكم العربي الاسلامي .

ومن الدويلات التي اسست في ذلك العهد في السودان دولة " سينار ودارفور وبورنو وواداي وباقرني ولكن
اهمها كانت دولة الفونج الاسلامية التي قامت في سينار في اوائل القرن السادس عشر على يد ملكها عمارة دونقس الذي
ساعد عرب التواسمة في تشييد مملكته التي بسطت سيادتها على النيل الازرق نحو ثلاثة قرون .

وقد مد الفونج حدودهم من ناحية الشمال الى الجندل الثالث ووصل سلطانهم في الجنوب الى فازوغلي وخضعت
لهم الاقاليم الشرقية حتى ساحل البحر الاحمر ومن الغرب كانت حدودهم متاخمة لدارفور .

ولكن الضعف بدأ يتسرب الى كيان هذه الدولة في نهاية القرن الثامن عشر حتى ادى الى وقوعها تحت يد
آخر ملوك الفونج في عام ١٧٨٩ واعتبر هذا التاريخ في سنار بدأ لحكم يسمى بالحكم الهمجي كما انه اثناء قيام حكومة
الفونج كانت تقوم في مختلف بقاع هذه المملكة مشيخات بعضها كان تابع لمملكة الفونج وبعضها كان يستقل استقلالا ذاتيا
كما انه قامت في تلك الاثناء دولة كدارفور المؤلفة من العرب الوافدين من تونس ومراكش ومصر والذين امتزجوا (بلفور) ـ
سكان دارفور وكان قيام هذه الدولة في غربي السودان ووجود مقاطعة (كيرد فان) بين هذه الدولة الجديدة ودولة
سنار سببا في نزاع استمر مدة طويلة انهك الطرفين كما ان دولة دارفور قد تعرضت للانحلال بعد انشائها بقليل بسبب
الانشقاقات الداخلية والثورات المحلية الى ان اعاد بناءها (سليمان صولون) والذي توالى من بعد اعقابه على الحكم
خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فثبتوا دعائم هذه الدولة .

وخارج حدود هاتين الدولتين اللتين كانتا من اهم دول السودان كانت القبائل المؤلفة من العربان تترقب
في الرقيق والتجارة التي تخرج من السودان او تعود اليها لتنقض فتفتك وتنال منها . واشهر هذه القبائل (الكبابيش
والبقارة) في الغرب عند حدود دارفور بينما قبائل العبابدة والحلانقة وبني عامر) في الشرق وعند سواحل البحر الاحمر
(الشائقية في الشمال) . وقبل ان تفد حملة محمد علي باشا على السودان كان الوزراء الهمج في سينار قد
جردوا كل سلطة من الحكام الشرعيين كما استقلت المشيخات واستبد العرب الشائقية في الشمال ثم لم تلبث كردفان ان
وقعت تحت سلطة دارفور منذ عام ١٧٧٧ حتى افتتحه المصريون وكان تحت حكم المقدوم (مسلم) الذي كان يدين
بالطاعة والولاء (لمحمد الفضل) سلطان دارفور .

الدوافع التي حدت بمحمد علي باشا لفتح السودان

ترجع الدوافع التي حدت بمحمد علي باشا لفتح السودان في ناحيتين احداهما ذات جذور بعيدة المدى تتمثل فيهما

تحقيق وحدة مصر والسودان واتمام الوحدة الاقتصادية والطبيعية بينهما بوضع حجر الزاوية الا وهو الوحدة السياسية ٠
ثانيتهما احوال وظروف سياسية طارئة تأتت عن التجاء البكاوات المماليك الذين نجوا من مذبحتي القلعة واسنا
التجأوا الى السودان واستقلوا في دنقلا وتغلبوا على بعض مراكز الشايقية واخذوا ينشئون صلاة وثيقة مع الاهالي ويهتمون
بالزراعة ولم يقنعوا بالعيش بدنقلا في امن وسلام بل اخذوا يدبرون المكائد ضد محمد علي باشا وشرعوا يتفاوضون على يد
(حسن جوهر) احد بكاواتهم مع حاكم الوهابين (سعود الثاني) بمكة المكرمة لعقد مخالفة ضد محمد علي واخذوا يبيتون
النية على اتخاذ كل وسيلة لدفع العثمانيين وطردهم من مصر او يهلكون جميعا كما سعوا لاقامة علاقات مع مملكة سينار ومع
ملوك الحبشة لذلك رأى محمد علي ان يضيق عليهم من الحبشة وذلك لامتناعها عن مساعدتهم ٠

وقد تجلت رغبة محمد علي باشا في تحقيق الامر الاول منذ عام ١٨٠٧ بعد رد غارة الانكليز على مصر ولولا انشغال
ابنه ابراهيم باشا في بلاد العرب بامر السلطان لحقق امنيته منذ ذلك الوقت ٠ كما تجلت في الغاية التي ارسل الوفد
المصري من اجلها الى سينار في عام ١٨١٣ فقد كانت الغاية الظاهرة من ارساله طلب معاونة السناريين على طرد
فلول بكاوات المماليك الذين التجأوا الى السودان منذ عام ١٨١١ ٠ اما مهمته الحقيقية فقد كانت تنحصر في الوقوف على
احوال البلاد ومعرفة مقدار قواتها الحربية وما يلزم من الجيوش لفتحها وقد بدت مهمة الوفد هذه في التقرير الذي قدمه
بعد عودته وكان فيه شرحا ضافيا عن سوء الاحوال في السودان وتفكك الدول القائمة فيها وضعف المقاومة تجاه كل
جيش يغزوها ٠

الفرص التي تهيأت لمحمد علي باشا وساعدته على غزو السودان

لقد كان في اضطراب الاحوال في السودان وقيام دول يضرب بعضها البعض الآخر وفي سوء الاوضاع الاجتماعية
هناك فرصة مواتية لغزو هذه البلاد من قبل محمد علي باشا بالاضافة الى ما اصبح لديه من معلومات حربية وافية عن تلك
البلاد وعن قواها العسكرية ٠

واذا اضفنا الى ما تقدم طلب ملك بربر في عام ١٨١٣ من محمد علي باشا مساعدته في استعادة سلطته المفقودة
على ان يعترف بالتبعية لمحمد علي وكذلك فقد قدم الملك (نصرالدين) آخر ملوك (المرغاب) والزبير) احد اعضاء الاسرة
الحاكمة في (ارقو) والملك (ادريس ود ناصر) من سلالة الفونج في سينار و (ادريس ود عدلان) من فازوغلي وطلبوا جميعا
مساعدة محمد علي لقاء اعترافهم بسيادته ٠ وفي عام ١٨٢٠ زار القاهرة (ابو مدين) وهو من اقارب دارفور كي يستنجد
بالباشا ضد محمد الفضل ويطلب معاونته على اعتلاء سدة الملك كما قدم القاهرة في الوقت نفسه (ود هاشم) وكان يريد
الحكم في كردفان ويلتمس من الباشا مساعدته لقاء خضوعه له والاعتراف بسلطانه ٠

فهذه العوامل كلها هيأت لمحمد علي فكرة غزو السودان وضمها الى مصر وجعلها من ملحقاتها ٠

غـــــزو الســـــودان

كان في مقدمة ما عقد محمد علي باشا عليه النية والعزم عند غزوه للسودان القضاء على البكاوات المماليك ولما
كان المماليك قد عملوا على استمالة سلطان (دارفور محمد الفضل) فقد اتجهت النية الى ضرب دارفور اولا ومن ثم تتجه
الحملة الى كردفان التي وردت الاخبار الى مصر ان البكاوات المماليك قد لجأوا اليها عند اعداد الحملة المصرية حيث

يتبـــع

يضطر المماليك الى الهرب منها وبالتالي الى الابتعاد عن شواطئ نهر النيجر وبذلك يهلك في المخاطر التي سيلاقونها من سيسلم منهم من جراء الحملة المصرية .

فمنذ سنة ١٨١٢ اخذ محمد علي بوالي الاهتمام بارسال البعوث الى السودان للاتصال باهله وملوكه واستطلاع الاحوال هناك لا سيما بعد ما تواترت الشكوى من التجار المصريين من انعدام الامن والفوضى حتى اذا كان عام ١٨٢٠ ارسل محمد علي ابنه اسماعيل على راس حملة للقضاء على اسباب الفوضى في السودان وارسل معه ثلاثة من نخبة العلماء ليحثوا اهل البلاد على الطاعة بلا حرب لان الخضوع للسلطان خليفة المسلمين واجب ديني . ولقد نجحت الحملة في القضاء على الشائكية في موقعة (كورتي قرطة) في تشرين الثاني ثم تقدم في زحفه الى شندي ومن ثم الى مدينة سينار حيث رفعت لواء الامن فيها وكانت تشمل دنقلا وبربر والخرطوم وسينار وفازوغلي فسلم ملكها الشرعي (بادي السادس) ابن ... قابل الامير اسماعيل (في واد مدني) واعترف بسيادة الدولة العثمانية طائعا مختارا وكان ذلك في ١٣ يونيو عام ١٨٢٢

وعلى اثر ذلك استأنف اسماعيل زحفه الى الجنوب حتى بلدة (سنجو) عند الدرجة العاشرة من خطوط العرض الشمالية . وفي كانون الاول عام ١٨٢١ سلم (حسن ملك فازوغلي) طوعا . وبينما كان اسماعيل مشغولا في اخضاع الجبهات الواقعة على النيل الازرق تفشى المرض بين جنده فبادر محمد علي في ارسال النجدات اليه تحت قيادة ابنه (ابراهيم باشا) الذى وصل الى سينار في ايلول عام ١٨٢١ لمساعدة اسماعيل فسار بجيشه قاصدا بلاد الدنكا على النيل الابيض ولكنه اضطر الى العودة الى سينار لمرضه في الطريق . اما جيشه فتابع السير حتى وصل الى الدنكا الى جبل تابي بين النيلين الابيض والازرق . وسارت حملة اخرى بقيادة محمد بك الدفتردار الى كردفان وتم الاستيلاء على عاصمتها الابيض سنة ١٨٢١ .

وكان ابراهيم يريد كشف النيل الابيض والوصول الى منابعه ثم اختراق الاقاليم الغربية عن طريق نهر النيجر الى الشاطئ الافريقي او الزحف بطريق الكردفان على دارفور وبرنو واختراق الصحراء الغربية الى طرابلس ثم العودة منها الى مصر ولكن ابراهيم لم يكد يصل الى جبل (القربين) في وسط الجزيرة حتى اصيب بحملة الباسور فعاد الى مصر عن طريق سينار كما قدمنا سابقا .

اما اسماعيل فقد اقام في اقليم فازوغلي مدة استطاع خلالها بحث الملوك في شندي (والمتمة) خاصة ان يحرضوا الاهالي على الثورة فاضطر الامير الى العودة سريعا الى سينار وهناك قضى على الثورة وعامل الاهلين معاملة كريمة عطفا عليهم ولكنه اقتص من (واد عجيلاوى) احد كبار الزعماء المحرضين فامر باعدامه اما (النمر) ملك شندي فنجا من العقاب ولم يلبث ان دبر للامير اسماعيل مكيدة اودت بحياته في عام ١٨٢٣ . في كانون الثاني . وقد استثار هذا الغدر الدنيء غضب الدفتردار محمد بك صهر محمد علي باشا وانتقم لمصرع اسماعيل انتقاما شديدا .

وكان محمد علي قد ارسل صهره الدفتردار محمد بك على راس حملة اخرى كما تقدم لفتح السودان فخرجت من اسوان في نيسان عام ١٨٢١ وفي اغسطس انزل بالمقدوم مسلم هزيمة نكراء عند (بارا) وكان المقدوم من بين القتلى في هذه المعركة وفي سبتمبر انهزمت فلول الصدد امام النيل الابيض وخضعت كردفان لسلطان المصريين وشرع الدفتردار من ... ره يعمل على تنظيم الفتوح الجديدة واتخاذ الاهبة للبحث عن مناجم الذهب والحديد التي اشتهر بها في ذلك الاقليم كما اخذ في دراسة موارد البلاد الطبيعية وارسال الرقيق الى مصر لتدريبهم على اساليب النظام الجديد في معسكر اسوان .

يتبـــع

وبفضل الدفتردار بعد ذلك بالاقتصاص من قتلة الامير اسماعيل وكان القضاء على الاضطرابات في سنار مؤذنا بانتهاء عهد الفتح وبداية عهد الانشاء والتعمير في ربوع السودان .

السودان في عهد محمد علي باشـــا

يعتبر عصر محمد علي باشا عصر توطيد الحكم المصرى في السودان وبداية نهضة زراعية وصناعية وسياسية واهتم بصناعة النيلة وزراعة المعالم اللازم لذلك وكذلك شجع على زراعة القطن و قصب السكر .

ولقد امتدت حدود الادارة المصرية في عهده حتى اصبحت تشمل مديريات فازوغلي وسنار والخرطوم وكسلا وبربر ودنقلا وكردفان ودارفور وهي التي صدر بها فرمان التولية بدون حق التوارث بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ وهو ينص على مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها الواقعة خارج حدود مصر .

وليس ادل على حرصه وتفقده الادارة من هذا الكتاب الذى ارسله الى موسى حمدى الذى عهد اليه بادارة السودان منذ عهد سعيد باشا فكتب اليه يقول "" وحيث ان هذا القطر الجسيم قد الحق بالمملكة المصرية من قديم الزمن واصبح حقا مكتسبا لها فالواجب يقضي بعدم اضاعة شيء من حدود المعيقة وبما ان تعمير واصلاح الاقاليم المذكورة داخله في عداد المديريات المصرية التي هي اكثر عمرانا وازدهارا وكذلك توسيع نطاق تجارته من اقصى آماله وافكاره بناء عليه يلزم ان تبذلوا سكانه وقاطنيه بالعدل والحقانية وان تبذلوا اقصى جهدكم في سبيل زيادة العمران وتوسيع نطاق تجارته وايصاله الى غاية الكمال من ناحية استتباب الامن واستقرار السلام "" .

ويوضح مما قاله محمد علي باشا ايضا اثناء زيارته التاريخية لفازوغلي انه كان جادا في الاخذ بيد السودانيين ليرقى بهم سلم الحضارة اذ قال للعلماء والوجهاء الذين قدموا لاستقباله والحفاوة به " لاجدال ان كل شعب من الشعوب يمر في دور الطفولة الذى تمرون به الان ولكن عناية المولى جل شانه تبعث الى كل امـــة مصلحا يسير بها قدما الى طريق الحضارة والرقي ولقد كان من حظي ان يقع علي الاختيار لاداء هذا الواجب النبيل نحوكم . " ولقد عقد الخديوى آمالا عظيمة على امكان انشاء شبكة من السكة الحديدية تربط اطراف الاقاليم السودانية كما تربط بين مصر والسودان وقد اقام لهذه الغاية بعثتان لاختيار الطريق من كوريسكو الى ابي حمد ثم الى الخرطوم — وكانت البعثة الاولى برئاسة المهندسين الانكليزين (براى   ) و (ووكر   ) واما البعثة الثانية فكانت برئاسة الانجليزى (هوكشو   ) . والبعثتان قدمتا تقريريهما الى اسماعيل من ١٨٦٥ — غير ان الازمة المالية وجسامة التكاليف احالتا دون تنفيذ هذا المشروع العظيم .

ولقد افسح محمد علي باشا المجال للعناصر الوطنية للعمل في ميادين الحكم والادارة وقد عني بتنظيـم المواصلات وتنشيط التجـارة خاصة مع القطر المصرى كما انشأ الترسانة لبناء السفن النهرية وبعد ان استطاع القضاء على الثورة الوهابية في عام ١٨٤٠ — ١٨٤١ اصدر السلطان فرمانا في شباط ١٨٤١ باعطائه السودان طيلة حياته

السودان في عهد عباس الاول ومحمد سعيد

بعد وفاة محمد علي باشا اعتلى الحكم عباس الاول وذلك في عام ١٨٤٩ بدت وحدة الوادى متعرضة لخطـــر الانحلال وذلك حين خيل للباب العالي انه من الممكن العودة بمصر الى ما كانت عليه قبل اصدار فرمان الوراثة بمحمد

يتبــــع

علي وابنائه في حكم مصر وجعلها ولاية لا ميزة لها على بقية ولايات الامبراطورية العثمانية ولهذا عمدت تركيا لتحقيق غايتها عن طريقين ١ — أن تبذل ما في وسعها من حيلة لاضعاف حكومة الباشا الداخلية والاقلال من شأنها في نظر الدول الاوروبية •

٢ — محاولة الاعتداء على الحقوق والامتيازات التي حصل عليها محمد علي •

وقد وجد الباب العالي منفذا لتحقيق مآربه وذلك عن طريق الفرمانات الصادرة بتاريخ ١٨٤٠ وبموجبه تجبر مرغمة على قبول جميع المعاهدات والاتفاقات التي تعقدها تركيا مع الدول الاجنبية كما عليها ان تنفذ القوانين — والتنظيمات المعمول بها في تركيا وممتلكاتها كما ان المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين الباب العالي وبين سائر الدول كانا مفعولها يسري ويطبق في سائر انحاء الممتلكات العثمانية وقد منح الباب العالي بعض الدول الاجنبية امتيازات في مصر والسودان كما طلب من مصر ان تطبق (التنظيمات الخيرية العثمانية) التي صدر بها خط شريف كل خانة في ٣ تشرين الثاني عام ١٨٣٩ وهي عبارة عن قوانين وانظمة تكفل امن رعايا الدولة العثمانية على اموالهم واعراضهم وارواحهم وتفرض رقابة دقيقة تحت اشراف حكومة الاستانة على كل شؤون الحكم والادارة في انحاء الامبراطورية وحصر مظاهر السلطة في يد الحكومة المركزية وعلى راسها السلطان العثماني •

وكان معنى قبول التنظيمات على علاتها الغاء ذلك الوضع الممتاز الذي كفلته فرمانات الوراثة لمصر مما يعرض مركز الولاية للخطر ويؤدي الى ضياع السودان • وقد زاد في متاعب عباس باشا وجود بعض اقارب له يعملون ضده في الاستانة لاقصائه عن دست الحكم وتولي مكانه ؟

كما ان فرانسا من بين الدول الاجنبية انبرت لتأييد العثمانيين في موقفهم هذا من مصر لامتناع عباس باشا عن تأييد النفوذ الفرنسي في مصر • وكذلك فان روسيا والنمسا قد انبرتا لمساعدة العثمانيين وسبب ذلك الرئيسي يعود الى ما قاله القنصل الاميركي وهو ان هذه الدول الثلاث كانت تحسد انكلترا على ما نالته من حظوة ومكانة لدى عباس باشا • ولهذا نرى ان عباس باشا قد اخذ يبذل قصارى جهده في استمالة انكلترا اليه ليحمل سفيرها في الاستانة (السير ستراتفورد كاننغ) وهو الذي يتمتع بنفوذ كبير لدى الباب العالي على معاونة مصر في بسط قضيتها امام الدول المناوئة لها واقناعها بضرورة تأييد عباس باشا في موقفه تجاه العثمانيين وكان ما دفعه ثمنا للتقرب من انكلترا سماحه بمد الخط الحديدي الذي يصل السويس بالقاهرة لتسهيل طريق الهند على انكلترا وفعلا فقد اخذت انكلترا على عاتقها لقاء ذلك أن تؤيد عباس في الاستانة ولهذا جد السفراء والممثلون الانكليز لدى حكومات الروسيا والنمسا الكف عن مقاومة الباشا في القسطنطينية •

اما فرانسا فقد ظلت تأخذ على عباس باشا تجاهله ما سماه تدخلها في مصر (حقوق صاحب السيادة على تابعه) ولكن اخيرا نجحت مساعي انكلترا فقد زال الخطر عن مسند الولاية المصرية وقد ساعد على ذلك تخفيف حدة الجو بين مصر والباب العالي • ان لويس نابليون منذ وصوله الى الحكم في فرانسا اخذ يتودد الى انكلترا وكان اثر ذلك موافقة السلطان على مد الخط الحديدي بين القاهرة والسويس وفي نيسان عام ١٨٥٢ تم الاتفاق على تطبيق التنظيمات العثمانية في مصر مع تعديلها بما يكفل للوالي الاحتفاظ بسيادته الداخلية الكاملة ويمكنه من دعم قوته تدريجيا في المستقبل حتى اصبح وليس هناك ما يربطه بالباب العالي سوى السيادة الاسمية •

يتبع

وتتضح اهمية هذا الانتصار السياسي الخطير مما كتبه بتراركي (   ) قنصل اسبانيا اليوم في مصر اذ كتب في اذار عام ١٨٥٢ الى حكومته يقول " لم يعد خافيا على ما يظهر ان الوزير العثماني رشيد باشا والوزير المصري (ارتين بك) وكان من المناوئين لعباس والالاجئين الى الاستانة " يريد اثارة الاضطرابات الشديدة في مصر حتى يصبح من المستطاع لا عزل عباس فحسب بل وحرمان اسرة محمد علي الحكم حرمانا تاما حتى تتاح الفرصة لاسناد منصب الولاية الى احد صنائع الوزير العثماني وايجاد وسيلة لاستثمار مورد جديد يعين على اجراء الاصلاحات اللازمة لانتشال الامبراطورية العثمانية من الارتباك المالي "

وهكذا تأيد بفضل هذا الانتصار ذلك الوضع الذى كفلته الفرامانات لمصر والسودان معا ٠

الحكم في عهد محمد سعيد باشـــا

وبعد وفاة عباس باشا في يولية عام ١٨٥٤ تولى مكانه سعيد باشا وقد عقد عليه السودانيين الامال في تحقيق ما يرجونه من تقدم وخير لبلادهم كما احتل السودان مكانا ظاهرا من تفكير سعيد باشا وعنايته فقام برحلة الى ربوعه ووصل الى الخرطوم وهناك امر باجراء الكثير من الاصلاحات وعمل على تنمية موارد البلاد واستثمار ثروتها الطبيعية لفائدة السودانيين وعني بتنشيط التجارة المشروعة وتوثيق الصلة التجارية بين مصر والسودان وتوطيد نفوذ الحكومة في الخرطوم وفي الاقاليم الخاضعة لسلطانها وتأمين الحدود من ناحية الحبشة في الشرق ودارفور في الغرب والنيل الابيض في الجنوب ومكافحة الرق والنخاسة حتى لقد كتب هوجلين (   ) القنصل النمساوى في الخرطوم يقول " ويعقد كبار الشيوخ من السودانيين واسع الامال ويتوسمون الخير العميم على يد سعيد باشا وهم على ثقة من ان شكاياتهم سوف تلقى على الدوام اذانا واعية في القاهرة)) ٠

وقد وسع التجارة فالغى الرسوم على البدلات الداخلية بين السودان ومصر وخفض رسوم المبادلات الخارجية وعين اخاه حليم باشا حكمدارا على السودان وكان يعتمد عليه كل الاعتماد ٠

وفي عام ١٨٥٧ وبعد ان توفي اخوه عبدالحليم في السودان بوباء الطاعون توجه لزيارة السودان لتفقد الاحوال هناك وليدعم مركزه الذى اصبح ضعيفا بعض الشيء بوفاة اخيه وقد اعلن بحضور الرؤساء والمشايخ بانه يرغب في ان يشترك في الحكم اشتراكا فعليا وانه يود اقامة مجالس محلية لهم تدير شئون بلادهم تحت اشراف الحكمدار المصرى وقد اعلن عن ذلك عند وصوله مدينة شاندى عام ١٨٥٧ كما ابلغهم انه سيعيد الى مصر كل الموظفين الاتراك ٠

ويقول (فرديناند دولسبس) الذى رافق السلطان سعيد باشا في تطوافه في السودان بان الباشا قد كلف في شاندى بضعة ايام حتى يتعاون مع رجاله في تأليف هذه المجالس على ان يكون تكوينها من بين رؤساء العشائر بطريق الانتخاب ٠

وقد دارت اشاعة في ذلك الوقت مؤداها ان سعيد باشا ينوى اخلاء السودان من المصريين وتركها للسكان المسلمين وكان الباعث لها هو ما صرح به سعيد باشا للقناصل الذين جمعهم قبل يوم سفره الى السودان وقال لهم انه يبغي من زيارته هذه ان يفحص ادارة السودان فحصا دقيقا لان البلاد مضى عليها حوالي ثمانية وثلاثين عاما دون اعادة النظر في شئونها المالية وتوفير الاسباب التي تمكن من تنمية مواردها وانه يعتزم ارجاع هذه البلاد الى مشايخ والملوك من زعمائها الوطنيين اذا اتضح انه بات من المتعذر اجراء الاصلاح المطلوب " ٠

يتبـــع

ولكن هذا التصريح الذى اورده بعض المصادر يخالف ما صرح به سعيد باشا مرارا من تمسكه بالسودان —
وبتبعية ذلك بالنسبة الى مصر . ولقد كتب دولسيبس في مذكراته التي نشرها بعد ثمانية عشر عاما لزيارة سعيد باشا
للسودان أن سعيدا صرح له بان والي السودان يرى ان لا فائدة ترجى من بقاء الحكم المصرى في السودان وانه يستحيل
. . . إيرادات سعيد باشا انه لا يجد سبيلا للخروج من هذا المأزق الا بترك السودان . ولكن ما قا
ن سعيد باشا اثناء زيارته من سن للقوانين الملائمة لمصالح البلاد والتي قال عنها بون ميريو (
ان هذه القوانين تؤدى الى استئصال المساوئ من جذورها وليس هناك ما يعيب تلك القوانين سوى انها تتسم
بطابع الحرية الواسعة التي لا تدرك قيمتها شعوب قبلية تكاد تعيش على الفطرة وما تزال راسفة في قيود الجهالة
وان ما ابداه من اهتمام بتنظيم طرق المواصلات واشراك الاهلين اشراكا فعليا في الحكم كان يدل على
عكس ما جاءت به الروايات السابقة وفي ١٨ كانون الثاني ١٨٦٣ يتوفى سعيد باشا ويعتلي اسماعيل سدة الولاية وتب
صفحة جديدة في تاريخ السودان .

الخديوي اسماعيل والعصر الذهبي في السودان

يعتبر المؤرخون عهد الخديوى اسماعيل عهد ازدهار وتقدم في السودان فلقد كانت السنوات الاربع عشر التي
سبقت اعتلاء اسماعيل اريكة الولاية بمثابة فترة انتقال بحياة السودان تأيدت في اثنائها وحدة الوادى بعد ان استهدف
الاقاليم السودانية للضياع بسبب ازمة التنظيمات الخيرية العثمانية ووضحت الحاجة الى الاصلاح الادارى والاقتصادى
ولذلك فقد اصبح من الضرورى اتباع سياسة حازمة على ايدى حكومة رشيدة ذات برنامج اصلاحي واضح يكفل السير
بالاقاليم السودانية في طريق الحضارة والرقي ولقد استرشد العاهل الكبير لتأمين تلك الادارة الاحداث بتلك القواعد
التي استنها محمد علي من قبل وسار عليها عباس الاول ومحمد سعيد . فتخير اكفاء الرجال لملء مناصب الحكم في
الخرطوم وفي سائر الاقاليم وزودهم بتعليمات وارشادات يستبين منها مدى ما كان يؤمله من اصلاح على ايديهم
واشرك العناصر الوطنية في شئون الحكم والادارة الى حد لم يسبق له مثيل فقطعت سودنة الوظائف في عهده
شوطا بعيدا . على ان العمل بهذا المبدأ سرعان ما شمل مناطق الزنوج انفسهم في مناطق النيل العليا . وليس
ادل على حرصه وتفقده الادارة من هذا الكتاب الذى ارسله الى موسى حمدى الذى عهد اليه بادارة السودان
بعد عهد سعيد باشا ولم يشأ اسماعيل ان يستبدل به غيره اذ توسم فيه القدرة في الذود عن البلاد التي عهد
بادارتها فكتب اليه يقول له :

((وحيث ان هذا القطر الجسيم بالمملكة المصرية من قديم الزمن واصبح حقا مكتسبا لها فالواجب يقتضي
بعدم اضاعة شيء من حدوده المصينة وبما ان تعمير واصلاح الاقليم المذكور وادخاله في عداد المديريات التي
هي اكثر عمرانا وازدهارا وكذلك توسيع نطاق تجارته من اقصى آمالي وافكارى فبناء عليه يلزم ان تعاملوا سكانه
وتعاملوه بالعدل والحقانية وان تبذلوا اقصى جهودكم في سبيل زيادة العمارية وتوسيع نطاق تجارته وايصاله الى
الكمال من ناحية استتباب الامن واستقرار السلام)) .

ولقد قام موسى حمدى بتنفيذ هذه التعليمات الصادرة اليه خير قيام الى حد اكسبه ثناء السودانيين
ومديحهم وظل يعمل بنجاح حتى وفاته بالخرطوم عام ١٨٦٥ .

يتبع

وفي الفترة التي هي بين سنة ١٨٧١ و ١٨٧٣ تم ارتياد منابع النيل ورفعت الراية المصرية على الاقاليم الاستوائية واعلن ضمها لمصر وانشئت بها عدة محطات عسكرية اطلق عليها فيما بعد اسم مديرية خط الاستواء ودخلت أينورو واوكندا تحت سيادة اسماعيل واعتنق ملك اوكندا الاسلام وقام بانشاء مسجد هناك كما كتب بذلك السير صاموئيل بيكر ... الخديوي في مايو سنة ١٨٧٢ ٠

وقد حاول اسماعيل ان يلغي تجارة الرقيق التي كانت سائدة حتى في ذلك الوقت في السودان واذ تبين ان نفوذ أصحاب هذه التجارة لا يمكن القضاء عليه الا بالقوة فقد جهز لذلك حملتين في عام ١٨٦٩ احداهما بقيادة محمد البلالي أو ((الهلالي)) والثانية بقيادة السير صاموئيل بيكر وكان هذا الاخير احد الرحالة الانكليز الذ بلغوا في اكتشافاتهم دارفور فارسله اسماعيل باشا على راس حملة الى اعالي النيل وكان الغرض من هذه الحملة فضلا عن القضاء على تجارة الرقيق ((ان تنضم الى مصر كل البلاد التي يشملها حوض النيل في افريقيا الوسطى)) ٠

كما أن من اغراضها ان تفتح الطريق للملاحة الى البحرات الكبرى التي تتكون منها المنابع الاصلية في النيل ف المناطق الاستوائية فتصبح الامبراطورية المصرية اذ ذاك ممتدة من منابع النيل الى البحر الابيض المتوسط ٠

غير ان صاموئيل بيكر فشل في مهمته كما لم تؤد حملة البلالي الغاية المرجوة لذا فقد عهد الخديوي بهـ المهمة الى شارلس جورج كوردون وهو رحالة انكليزي آخر فغادر القاهرة عام ١٨٧٤ في شباط على أن هذه الحملـ وما تلاها انسحبت جميعها في عامي ١٨٧٥ و ١٨٧٦ دون أن تحقق الهدف ولذلك فقد أبرم الخديوي مع بريطانيـ ... الغاء تجارة الرقيق في ٤ اغسطس عام ١٨٧٧ ٠

وعلى اثر هذه المعاهدة عين الخديوي كوردون حاكما على السودان خلفا للسير صاموئيل بيكر في فبراير عـ ١٨٧٧ ومنحه سلطات عسكرية ومدنية مطلقة على جميع الاراضي الممتدة من وادي حلفا في الشمال الى مديريـ خط الاستواء في الجنوب ومن دارفور في الغرب الى ساحل البحر الاحمر في الشرق جنوبي سواكن ٠

ولقد آثر كوردون في بادئ الامر اتباع سياسة (التقييد) وتنفيذ معاهدة تجارة الرقيق تنفيذا دقيقا حسبما كا تقتضيها سياسة الخديوي اسماعيل ٠ اما الحكومة الانكليزية فقد اصرت دائما على تنفيذ سياسة الالغاء واتخاذ اجراء حاسمة من اجل القضاء على الرق وتجارة الرقيق في الاقاليم السودانية قبل نهاية عام ١٨٨٩ حتى ولو اقتضى لذلك استعمال سياسة السيف والنار وهي سياسة انكلترا منذ الابتداء وهكذا وجد كوردون نفسه وهو الرجل الذي اختيرلها المهمة الشاقة منساقا في آخر الامر لتنفيذ سياسة الالغاء وسياسة السيف والنار بكل شدة وصرامة وذلك على الرغم مـ اعتقاده بانه كان يستحيل على الخديوي تنفيذ معاهدة الرقيق في الاقاليم السودانية بالدقة التي تتطلبها الحكومـ الانكليزية ٠ ووقع لذلك على عاتق الحكومة الانكليزية وعلى عاتق كوردون كذلك مسئولية جميع ما جرى من حوادث فـ السنوات القليلة التالية سببت اشتعال الثورة في السودان في دارفور في فبراير عام ١٨٧٧ والتي عرفت بثورة الجلابـ وتجار الرقيق ٠ ولكن بملاحقة هؤلاء والتشديد عليهم تارة وباستمالة رؤسائهم تارة اخرى تمكن كوردون من القضـ عليه ٠ الا ان القضاء على هذه الثورات كان ظاهريا فقط ولا يمكن ان يدوم طويلا لان البلاد من اقصاها الى اقصاها كانت تطغي عليها موجة من التذمر الشديد والكراهية العميقة ضد الحكومة بسبب ما كان يبديه عمالها (الكثا من مغالات شديدة في تنفيذ سياسة الالغاء العقيمة ٠

يتبع

١٨٠٥٣١

تلك السياسة التي هزت كيان البلاد الاقتصادي والاجتماعي هزة عنيفة القت بالسودان واهله في اتون الثورة المهدية .

الفصل الثاني

حالة السودان قبل قيام الثورة المهدية

بعد ان خمدت الثورات عم البلاد شيء من الهدوء ولكنه هدوء ظاهر كان اشبه ببركان خمد ظاهره و
وقذائفه ما لبثت ان تتأجج وتضطرم لمعاودة الانفجار ثانية . وهكذا كان يشوب هذا الهدوء غليان خفي في نفوس
السكان لم يلبث ان ظهرت اثاره في الثورة المهدية .

فلقد كانت تطفى على الاقاليم السودانية موجة من التذمر الشديد لا يطمئن انسان لعواقبها وفضلا عن ذلك
فقد اثبت قيام هذه الثورات وخصوصا ثورة سليمان الزبير على اكتاف تجار الرقيق واشتباك صيادي الرقيق في النضال
المسلح ضد الحكومة ان الجلابين كانوا شديدي العزم على مقاومة سياسة الالغاء بالسيف والنار اي بنفس الوسائل ال
التي اتبعها كوردون ورجاله لتنفيذ هذه السياسة الخاطئة وعلى ذلك وقد باتت مهمة الحكومة في الخرطوم احكام الر
تجار الرقيق لتدعيم انتصار الحكومة الاخير عليهم ومنعهم من القاء البلاد في احضان الفوضى من جديد .
وهذه مهمة كانت جد خطيرة ولا سبيل الى تحقيقها الا اذا ظلت حكومة الخرطوم مستمتعة بما كان لها من قس
وبوسعها اتخاذ كل اجراء سريع وحاسم لاخماد اية اضطرابات جديدة قد يثيرها تجار الرقيق .

غير انه حدث في هذا الوقت العصيب ما جعل استمرار الحكومة القوية في الخرطوم امرا متعذرا ذلك انه سر
الخبر يذاع في كل ارجاء السودان خبر عزل الخديوي اسماعيل ثم زاد تحرج الموقف ان كوردون الذي قذف الرعب
في قلوب الاهلين وتجار الرقيق بنشاطه العنيف في تنفيذ سياسة الالغاء قد غادر البلاد فنجم عن هذين الامرين "عزل
اسماعيل وذهاب كوردون" رد فعل شديد كانت له اثار خطيرة . فقد استرد تجار الرقيق ثقتهم السابقة واطمأنوا
الى امكان مقاومة الحكومة وعادت جموعهم تحتشد مرة ثانية في بحر الغزال ودارفور ولم تمض شهور قليلة حتى كانت
قوافل الجلابة تسير محملة بالعبيد في طريقها القديمة صوب الشرق الى موانيء البحر الاحمر وصوب الشمال ال
الحدود المصرية . ومما ساعد على استفحال امر تجار الرقيق ان جميع السودانيين تقريبا الذين قلدهم كوردون مناصب
الحكم في المديريات المختلفة بين عام ١٨٧٧ و ١٨٧٨ ما لبثوا ان القوا جانبا كل حيطة وحذر واخذوا يتجرون بالرقيق
اثر الغزوة لصيد العبيد في دارفور وبحر الغزال وفاشودا وكان مرد ذلك كله الى ضعف حكومة الخرطوم
عن وقف ذلك التيار الجارف الذي احدثه ذهاب كوردون واسماعيل .

زد على ذلك ضغط الانكليز على الحكومة المصرية لتنفيذ سياسة الالغاء بالقوة والقضاء على تجارة الرقيق في ذلك
الوقت الحرج الذي يحتاج الى تدبير حكيم ومعقول تهيأة للحالة الراهنة التي بات السودان فيها كريشة في مهب ريح
او كرة تتقاذفها الايدي المتطلعة لاقتناصها . كل ذلك ادى الى توتر الحالة فوق ما هي عليه ووصل البركان الر
نتيجة الاشباع التي ادت بانفجاره وظهور محمد احمد المعروف بحركته وتزعمه للثورة المهدية .

المهدي

ترجع هذه الثورة الى زعيمها محمد احمد الذي ولد في جزيرة اضرار في مديرية الدنقلا ثم انتقل به ابواه

يتبع

د صغير الى الخرطوم فانشأ مدرسة بالخرطوم عام ١٨٦٣ - ١٨٦٤ ثم انتقل بعد عشر سنوات الى جزيرة آبا فـي
يل الابيض وكان يعرف بالتقى والزهد وهناك قام في جزيرة آبا بالدعوة الى ارجاع مجد الاسلام وتخليص ... ...
نقية من شوائبه ٠

وكان يعتمد في تحقيق دعوته على الاموال التي تغذيها تجارة الرقيق التي عادت الى سابق نشاطها بعد ان
في السودان نبأ عزل الخديوى اسماعيل وذهاب كوردون من السودان وقد قام محمد احمد بدور خطير حين انتقل
وعظ والارشاد الى الاصلاح السياسي والاجتماعي ذلك انه اخذ يدين بآراء في السياسة والاقتصاد والاجتماع مسائلا
سبيل الى تحقيقها الا بطرد المصريين من السودان ومن معهم من الاتراك معلنا ان ما لحق بالدين من وهـن
اندا كان منشأوه على يد هوء لاء ٠

واستهوت آراء محمد احمد لب عبدالله التعايشي وهو اخطر زعماء البقارة صيادى الرقيق واشدهم بأسا وقوة فقصد
احمد واستحثه على اعلان دعوته على انه المهدى المنتظر شريطة ان يصبح عبدالله التعايشي وزيرا له فيما بعد
محمد احمد عرض التعايشي وفكرته واذاع بانه المهدى المنتظر وانه قد كلف من قبل الله بتأسيس دولة اسلاميـــة
ة الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة وكان ذلك عام ١٨٨١ ٠

الحمـــلات ضـــد المهديـــــة

اخذ المهدى يثير الاهلين ضد الحكومة المصرية باعتبارها سبب كوارث السودان ومصائبه وكان حكمدار السودان
محمد رؤوف باشا فلم يأبه للامر في بدايته بل ارسل له عدة فقهاء يناقشونه ولما عادوا اخبروا رؤوف بأشـــأ
المهدى ودجله فجهز حملة موء لفة من ٢٠٠ جندى وذلك في ١٢ اغسطس ١٨٨١ فغلب هوء لاء الجنود وسميت
الموقعة بموقعة (آبا) وشاع سيط المهدى على اثر هذا الانتصار وانتقل المهدى بعد ذلك من آبا الى الكردفـان
اقليم انصاره البقارة فارسل رؤوف باشا حملة اخرى تتعقبه وذلك في ديسمبر عام ١٨٨١ فكان نصيبها الفشل ايضا
ت اخبار انتشارات المهدى في كردفان ودارفور والسودان الشرقي بين بربر وساحل البحر الاحمر واستدعى رؤوف
القاهرة في فبراير عام ١٨٨٢ وبعد شهر من ذهابه وصلت الاخبار الى الخرطوم منبئة بقيام الثورة في سنار فـي
نيسان وهكذا لم تعد الثورة محصورة في كردفان بل عمت الان ارجاء السودان ٠

وكان العامل الاساسي في اخفاق حملات رؤوف باشا هو عدم وجود القوة الكافية لديه لقمع حركة المهـــدى
امكان امداده من مصر لقيام ثورة اعرابي باشا فيها ٠ واخيرا ارسلت مصر احد رجالها العسكريين عبدالقادر حلمي
لذى استطاع ان يقبض على ناصية الحال بالقوة المحلية التي كانت تحت امرته بدون ان يلجأ الى طلب امدادات مصر
نشغال البلاد بالثورة الاعرابية ٠

لقد تمكن عبدالقادر من قمع تلك الفتنة واخماد نار الثورة في الجزيرة كلها تقريبا ولا ريب انه كان في امكانه اعادة
من الى ربوع السودان اذا كان قد امد بالخمسة عشر الف جنـدى التي فوض امر قيادتها الى هكس باشا ٠

فقد كانت الخطة التي وضعها خطة حكيمة وهي تنحصر في ان يستمر مرابطا هو وجيوشه ومدفعيته واسطـــول
الخر على طول مجرى النيل الابيض ٠ وفي هذا الوقت لم يكن بيد المهدى سوى كردفان وهي عبارة عن صحـــراء

يتبـــــع

... لا تستطيع اكتساح الجموع الملتفة حوله ، فكان بذلك مضطرا المتخلص من هذا الموقف الى سلوك احد هذين الطريقين :
اما ان يخاطر بنفسه — وهذا امر بعيد الاحتمال — ويهاجم جموع عبدالقادر باشا وهي متحصنة على التحصين
... وبواخرها فتضربه الضربة القاضية ، واما ان يبقى كما هو محصور في كردفان — وهذا اكثر احتمالا سيتركون القضاء
... بمرور الزمن — اعني ان الجوع لا بد ان يهاجم جموع اولئك الفوضى فيدب في عضدهم ويلاحقهم فتسحق
... من تلقاء نفسها ، هذا فضلا عن ان انصار المهدي يكونون قد ادركوا ان حكومة هذا الرجل اقل رفقا بهم
... مصر فينصرفون عنه ويهجرونه حالما تخمد جذوة الحماس الذي تأجج بين ضلوعهم في بادئ الامر .
هذه كانت هي خطة القائد المصري البارع عبدالقادر حلمي باشا ولكن مما يؤسف له ان الانجليز ...
... به ولو نفذ لما سقط السودان في ايدي الثوار .

وفي هذه المناسبة ننوه عما قاله سلاطين باشا في كتابه (السيف والنار ص ٢٣٢) بهذا الصدد :
لو صادفت نصائح عبدالقادر باشا آذانا مصغية لجرت الامور في السودان في غير المجرى الذي جرت فيه ولكانت
غير هذه النتائج السيئة .
لقد كان يرى عدم تسيير حملة كبيرة لاعادة فتح كردفان وان تترك والثوار الذين فيها وان يبقى الجيش المصري
الذي يقوده مرابطا في حصون قوية على طول مجرى النيل الابيض وكانت القوة العسكرية التي تحت امرته كافية
(لحماية) الجزيرة الواقعة بين النيلين الازرق والابيض والايقاع بجيوش المهدي الاتية من الغرب والحيلولة دون تقدمها
ولو اختيرت هذه الخطة لكان من المحتمل كثيرا ان يدب الفساد في صفوفهم وتسود هم الفوضى بسبب اختلا...
... عدم وجود نظام ما يستندون اليه ، وبذلك تستطيع الحكومة ان تسترجع الاراضي التي ضاعت منها ...
... على ممر الايام .

ولا ريب في اني لم اكن بمستطيع في ذلك الحين ان احتفظ بسيطرة الحكومة في دارفور على اننا لو ... فسبب
... ضياع هذه المديرية نهائيا فاننا نكون قد اخترنا اخف الضررين بلا مراء ، ولكن لم يكن ذلك راي القابضين
... الحكم في القاهرة .

فقد ظهر امر عالي جاء فيه انه لا بد من توطيد سلطة الحكومة بجيش يرسل تحت امرة الجنرال الانجليزي هيكس
... ضباط اوروبيين آخرين ، اما عبدالقادر باشا فقد استدعي وعين علاء الدين باشا الذي كان فيما سبق حكمدارا
... السودان بدلا منه ، فلم تكد تبلغ مسامع المهدي هذه الاخبار حتى وعاها وعمل لها حسابها واعد لها عدتها .
وقد استمر عبدالقادر حلمي على خطته وفي اثناء ذلك حدث الاحتلال البريطاني وارغمت مصر على ...
... من السودان واستبدل به ضابط مصري آخر هو (علاء الدين باشا) وعين معه هيكس باشا رئيسا لاركان
... الغرض من ذلك كما تكشف عنه الوثائق المنشورة بعد هو ان يكون القائد المصري قائدا بالاسم فقط ويكون
... رئيس اركان الحرب هو القائد الفعلي فقد رؤي ان رجلا قوي الشكيمة كعبدالقادر باشا لا يمكن ان يقبل
... هذه صفته لا سيما بعد ما ايده الله به من النصر والتوفيق ، وهذا فيما نظن كان علة استدعائه .
وهكذا حل علاء الدين باشا في سلطة عبدالقادر العسكرية اسما وهيكس باشا فعلا ، وقد كان هذا الاخير وضباط

يتبع

[illegible] من جنود الانكليز من الضباط المصريين بسبب دراية حسنة بصفوفهم العسكرية لكنهم كانوا يجهلون نظم الحرب [illegible] وطبيعة الشعب . وما لا شك فيه ان معظم أولئك الضباط خطة عبد القادر [illegible] في الحكومة وخصوصا [illegible] [illegible] التي صحبت كردفان ومعاركه ومقتله من هناك قاموا ومن معه قاتلوا في ارض مواقعه تحت الجو [illegible] [illegible] حملة تتقدم جنوبا [illegible] فحدث هذه الاثام ثم احيط بهم الاعداء وذلك في موقعة شيكان في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ [illegible] [illegible] ما كان منتظرا ان يحل بقصبة هذه ورجاله بسبب الخطة التي وضعها [illegible]

[illegible] هذا النصر مركز المهدي [illegible] الخرطوم [illegible] في السودان الشرقي [illegible] [illegible] في تلك الاثناء حركات الثوار التي [illegible] على الطرق [illegible] على السلطان [illegible] [illegible] عام ١٨٨٤ في [illegible] بعد مقاومة طويلة [illegible] ([illegible]) [illegible] [illegible] القديم [illegible] [illegible] ضد الحكومة في السودان الشرقي وابقاها [illegible] على [illegible] في [illegible] عام ١٨٨٣ ثم [illegible] [illegible] تحت حملات [illegible] [illegible] [illegible] من الزعماء [illegible]

[illegible] في تخلصها كما اضطر الجنرال [illegible] الى الانسحاب من [illegible] والعودة الى مصر في [illegible] عام ١٨٨٤ [illegible] الحكومة الانكليزية اخلاء السودان . ثم [illegible] سواكن بعد ذلك في مايو عام ١٨٨٥ .

[illegible] في مديرية خط الاستواء [illegible] مديرها امين (الدكتور شنيتزر) في عزلة تامة منذ [illegible] ١٨٨٣ [illegible] [illegible] هيكس وتسليم سلاطين [illegible] وبعد [illegible] على مديريته بعد استيلائهم على بحر الغزال [illegible] [illegible] حتى سقطت في ايديهم في [illegible] عام ١٨٨٤ . ولما كانت [illegible] من [illegible] المديرية [illegible] [illegible] [illegible] بين [illegible] واخرى على [illegible] في [illegible] والشرق والغرب ولكن [illegible] [illegible] في ذلك الوقت كانوا [illegible] لبلوغ غايتهم الكبرى بالاستيلاء على الخرطوم [illegible] .

قـضـيـة اخـلاء الـســودان

[illegible] حكومة [illegible] [illegible] ان وصلتها انباء هزيمة هيكس حتى [illegible] اخلاء السودان و [illegible] حدود مصر [illegible] [illegible] حلفا واسوان . ولم [illegible] شريف باشا والوزراء المصريين [illegible] في [illegible] الانكليز على التنازل عن [illegible] [illegible] باشا الى الاستقالة في يناير عام ١٨٨٤ . ووقع اختيار الحكومة الانكليزية على [illegible] باشا لتنفيذ سياسة [illegible] [illegible] المشهور [illegible] وبلغ كوردون الخرطوم في ١٨ فبراير عام ١٨٨٤ وشرع يعلن الاخلاء [illegible] [illegible] .

[illegible] اخلاء [illegible] من غير العسكريين والاطفال والنساء سواء اكانوا [illegible] اوروبيين او من جنسيات اخرى [illegible]

[illegible] — اخلاء السودان [illegible] من جميع الحاميات المصرية في اوقاته .

[illegible] الفرصة لاقامة نوع من الحكومة ان كان ذلك ممكنا لادارة شئون البلاد بعد [illegible] [illegible] لا يبقى في البلاد [illegible] [illegible]

لكن هناك اسباب عطلت الاخلاء اهمها :

١ — ان كوردون عند وصوله الى الخرطوم اذاع ان حملة انكليزية كانت في طريقها الى الخرطوم [illegible] [illegible] .

[illegible]

٢ — ان الجنود الذين طلب اليهم مغادرة العاصمة هم المصريون بينما لم يغادرها جندي سوداني واحد

٣ — ان كوردون راح يقضي معظم وقته في انشاء حكومة وطنية جديدة حتى شاع الاعتقاد بان كوردون لا يريد ترك الخرطوم وان الحملة الانكليزية في طريقها لتخليص البلاد اى السودان من طغيان المهدية •

وهكذا فان الدراويش في ١١ اذار ١٨٨٤ اطبقوا على الخرطوم من كل جانب ولم يبق مفتوحا سوى طريق ... يصل كوردون من الخرطوم في ذلك اليوم يقول " ((ان الثوار لا يبعدون عن العاصمة سوى ساعات على النيل الازرق وهم يطوقون الخرطوم تماما")) وفي اليوم التالي قطع الثوار اسلاك البرق بين الخرطوم والعالم الخارجي وفي ذلك اليوم بدأ حصار الخرطوم بصورة جدية ولم يعد من الممكن انقاذ كوردون والحامية المحاصرة معه الا بارسال حملة عسكرية

فطن السير افلين بارنج بالقاهرة الى خطورة الموقف بمجرد علمه بانقطاع المواصلات البرية واعتقد بضرورة ارسال حملة لتخليص كوردون على وجه السرعة • ولكن الحكومة الانكليزية لم تصل الى رأى حاسم في هذه المسألة الا بعد ان سقطت بربر في ايدى الدراويش في شهر مايو عام ١٨٨٤ وانقطع كل رجاء في امكان انسحاب كوردون بطريق النيل من الخرطوم • وتدخلت الملكة فكتوريا في هذا الامر ونادت الصحافة بضرورة الاسراع لانقاذ كوردون فقرر البرلمان الانكليزي تخصيص ٣٠٠ الف من الجنيهات للبدء في العمليات العسكرية لتخليص كوردون وصدر هذا القرار في ٥ اغسطس وعهد الى السير (جارنيت ولسلي) بقيادة الحملة •

وصل ولسلي القاهرة في ٩ سبتمبر عام ١٨٨٤ وفي ٥ اوكتوبر غادر وادى حلفا في طريقه الى الخرطوم واستطاع قواده السير شارلز ولسون الوصول الى حلفا في ٢٨ يناير عام ١٨٨٥ وذلك بعد ان اشتبكت قوات الحملة مع الدراويش في معارك دامية ذهب ضحيتها السير هيربريت ستيوارت ولكن ولسون سرعان ما عرف وهو في حلفايا ان الخرطوم سقطت في ايدى الثوار قبل وصوله بيومين فقط • يوم ٢٦ يناير عام ١٨٨٥ وان كوردون قد قتله الدراويش شر قتلة •

لقد كان سقوط الخرطوم مأساة رهيبة فقد بدأ الدراويش يتسللون الى داخل المدينة في منتصف الساعة الرابعة من صبيحة يوم الاثنين ٢٦ يناير من ثشرة في خط الدفاع الذى اقامه كوردون حول طرف المدينة الجنوبي ولم تكد جموعهم تحتشد خلف المتاريس حتى علت صيحاتهم واطلقت المدافع قذائفها من معسكرات المهدى واموائه ثم تدفقت جموعهم نحو قلب المدينة وهم يصيحون الى السراى الى الكنيسة • واشتد الصخب وعلت الضوضاء والجلبة فهب اهل الخرطوم بائساء يستطلعون الخبر والنوم ما يزال يعقد جفونهم والحذر واليأس يأكل قلوبهم بعد ان طحنتهم المجاعة وانهكتهم المشقة ابان الحصار الطويل فتلقاهم الدراويش بالسيوف والحراب واوقعوا بهم مقتلة عظيمة فلم يرحموا امرأة ولا طفلا بل كانوا يغرزون حرابهم في اجسام الرضع حتى يحملوها على رؤوس الاسنة وكان هدف الدراويش الوصول بسرعة الى سراى الحكومة وكنيسة الارسالية النمسوية يدفعهم الامل في العثور على الكنوز العظيمة محفوظة في مخازن ومخابىء السراى والكنيسة ثم لم يمض بعض الوقت حتى كانوا في حديقة السراى يطلبون حياة (كوردون) رخيصة فاقتحموا ابواب السرايا ودخلوا مخادعها يفتشون عن فريستهم ثم ارتقوا سلم السراى الموصل الى طابقها الاعلى وعندئذ خرج كوردون وحده لمقابلتهم وحاول ان يتحدث اليهم ولكن احدا من هؤلاء السفاكين لم يلق بالا الى ما كان يحاول ان يقول او يسمع فما مرت لحظات حتى كان احدهم قد طعنه بحربة كبيرة في صدره فوقع كوردون على وجهه والدم يتدفق من جرحه وعندئذ بادر آخرون —

يتبـــع

جذ به على السلم وانهال عليه الدراويش بحرابهم يطعنون بها جسمه ثم فصلوا راسه وبعثوا بها الى زعيمهم
ملتى محمد احمد وا مركوردون في شجرة بام درمان احتشد حولها الدراويش يلعنون الرأس وصاحبها وضرب الثوار الكنيسة
م استباحوا مدينة الخرطوم المنكوبة فاستمر النهب والسلب وهتك الاعراض والتقتيل ست ساعات طوال فكان من بين الذين
توا حتفهم في ذلك اليوم المشئوم (مارتن هنزل) القنصل النمساوي ثم (عاذر قنصل الولايات المتحدة) ونيقولا ليوتيد
قنصل اليونان • وذبح الدراويش اسراه باكملها من القبط فبلغ عدد من قتلهم الدراويش من اهل الخرطوم في هذه —
الساعات المعدودات /٣٣٢٧/ نسمة وهذا عدى من قتلوا من عربان الشائقية الذين آزروا كوردون وبلغ هؤلاء الضحايا
/٣٣٠ نسمة فكان جملة من لقو حتفهم في هذا اليوم الرهيب ٥٦٥٧ نسمة وفي الساعة العاشرة صباحا من يوم ٢٦
ناير المهدي وفقيه آبا القديم امره بوقف المذبحة فانطلق الدراويش ينهبون المدينة وبهذه المأساة المروعة اذا اسدل الستار
لى آخر فصول الحكم المصري بعد نيف و ٦٠ عاما وهي سنوات مليئة بالاعمال المجيدة حقا وفي وسط حمام الدم المخيف
دأ حكم المهدي الغاشم في السودان •

اسبـــاب بعـث الثـورة المهديـــة

في الحقيقة ان ثورة المهدي لم يكن الباعث على حدوثها اولا وآخرا مشكلة منع الرقيق فلا بد من ان السبب المباشر
لقيامها انما هو جور الحكام الذين كانوا يتولون على السودان إذ كان لا يرسل اليها الا المنفيون والمغضوب عليهم
من قبل الخديوي ولهذا كان لا يهمهم ان يصلحوا ما يروه فاسدا بل كثيرا ما يكونون هم انفسهم ادارة فساد وهم يشعرون
انهم قد ابعدوا وجوزوا بتعيينهم هذا كما ان مصر كانت تسند كثيرا من المناصب الهامة في السودان الى الاجانب
الذين كان من صالحهم ان يبثوا في نفوس السودانيين كراهية الحكم المصري بما كانوا يقومون به من ظلم واساليب في
معاملة السودانيين تزيد في حقدهم على مصر وحكومتها •
كما ان احتكار الحكومة بتجارة العاج وهو من اهم مصادر الثورة للسودان بعد الرقيق واستئثار الحكومة بالارباح —
الطائلة التي كان تثمرها هذه التجارة على اربابها جعل السودانيين ينقمون على الحكومة هذا الاحتكار وسخطوا عليها
وانضموا الى الثورة بعد نشوبها • وثمة سبب آخر هو جهل الاهلين وسرعة تصديقهم للخرافات والاوهام واعتقادهم
من قبل بقرب ظهور المهدي المنتظر فاقبلوا على دعاوى محمد احمد يصدقونها ويؤمنون بها دون تفكير ولا تحقيق اضف
الى ذلك سبب هام كان له اثره في نجاح الثورة وهو عجز قيادة الجيش المصري في السودان حين شبوبها وضعف حاكمه
محمد رؤوف وقتذاك وعدم كفاءته كان من اكبر العوامل في ظهور الثورة وانتصارها •

تنفيـــذ اخـــلاء السودان

ان اندلاع الثورات في السودان وقيام الاضطرابات وعدم الاستقرار فيها كان له اثره المفضل والمحبب الى قلب
انكلترا التي كانت ترمي من وراء ذلك بسط نفوذها على السودان بحجة اخمادها تلك الثورات وتهدئة الحالة بعد ان —
ظهر ضعف الحكام المصريين في عدة وقائع منها واقعة (شيكان) التي قوبلت انباءها في مصر بالحزن والجزع بينما قوبلت
في انكلترا بالجمود والغبطة لان السياسة الانكليزية هي التي دبرت حملة هيكس وهي عالمة ان مصيرها الهلاك لكي تتخذ
من هذا المصير ذريعة (لتنصح) للحكومة المصرية باخلاء السودان وبذلك ضحت بهيكس وحملته كما ضحت بفردون من

يتبـــع

ن بعده تحقيقا لمطامعهم في السودان وقد قوبل هذا النصح من قبل شريف باشا بالاستياء وانكر على الانكليز ذلك لان
ن مصر ترى المحافظة على السودان بخمسة عشر الف جندي لا غير وان الحملة التي شرعت الحكومة وقتئذ في اعدادها كافية
ادراك هذه الغاية وان التخلي عن السودان يضر بمصالح مصر سياسيا واقتصاديا . من هنا ظهر الخلاف ...
نظر بين شريف باشا والمعتمد البريطاني لعدم اقتناعه باخلاء السودان مما ادى الى استقالته بعد ان اقر الاخلاء —
يوي توفيق باشا الذي كان الصورة في يد الانكليز ولا يعصي لهم امرا . وهكذا كانت استقالة شريف باشا احتجاجا
اخلاء السودان وعلى تدخل الانكليز واعتدائهم على حقوق مصر واستقلالها وله كلمته المأثورة عن السودان قوله
اذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا) وبهذا الموقف المشرف ختم شريف باشا حياته السياسية .

احتـــلال الانكلـــيز لسواكـــــن

لم تكد الحكومة المصرية تقرر اخلاء السودان حتى بادرت انكلترا الى تنفيذ خطتها في احتلال ما تتخلى عنه مصر
شباط عام ١٨٨٤ على اثر هزيمة ديكر باشا احتل الاميرال هويت سواكن وسمى نفسه قومندانا للثغـــر
من استمالة انكلترا بالخديوي توفيق باشا بعد ان اقرها على اخلاء السودان انها لم تبلغه نبأ هذا الاحتـــلال
بعد وقوعه وجاء هذا الاحتلال مكذبا لمزاعم انكلترا حينما طلبت اخلاء السودان بحجة ان لا سبيل للمحافظة عليه .

وقد احتجت تركيا على هذا الاحتلال فاجابها اللورد فرين سفير انكلترا بالاستانة بتاريخ ٦ مارس عام ١٨٨٤ بان
حوادث السودان اضطرت الحكومة البريطانية الى اتخاذ بعض الوسائل الوقتية لحماية ثغور البحر الاحمر ولكنها عازمة عند
عود السكينة الا تعمل شيئا بغير مشورة الباب العالي .

اخـــلاء دنقلا وتراجع حدود مصر الجنوبية

كان من نتائج سقوط الخرطوم ان طلبت انكلترا من الحكومة المصرية جعل حدودها الجنوبية في وادي حلفـــا
وردت بذلك ان تؤيد مصر اخلاء السودان فاذعنت الحكومة المصرية واخلت دنقلا وقررت في يونيو عام ١٨٨٥ جعـــل
حدودها الجنوبية في (كوشة) وفصلت البلاد بين اسوان ووادي حلفا عن مديرية اسنا وجعلتها محافظة تحت الاحكام
العسكرية واسمتها محافظة الحدود .

وفـــاة المهـــدي وتراجـــع المهديـــــة

اصيب المهدي في يونيو عام ١٨٨٥ بحمى خبيثة من نوع التهاب السحائي الشوكي لم تمهله بضعة ايام حتى
ت بحياته وهو في اوج قوته وكانت وفاته يوم ٢٢ يونيه عام ١٨٨٥ وتولى حكم السودان من بعده خليفته عبدالله
التعايشي .

كانت وفاة المهدي اول نذير باخفاق الثورة المهدية اذ كان هو بلا مراء روحها وقوامها وكانت الانتصارات التي
نالها قد رفعت شأنه وزادت من مهابته في النفوس فكانت شخصيته هي دعامة الدولة المهدية المترامية الاطراف ولـــم
يكن للتعايشي المقام الذي كان للمهدي ولا نفوذه المعنوي وكان ينقصه الكثير من المزايا والصفات التي اجتذب بها
المهدي قلوب انصاره كالاناة والحزم والدهاء ولذلك فقد وقع الخلاف بينه وبين كبار انصار المهدي واخذ يقرب اليـــه
من يرى فيهم الاخلاص لشخصه وينكل بمن يخشى منهم مزاحمته او الخروج عليه وفي عهده كثرت المظالم ووقفت حركـــة

يتبـــع

التجارة ثم انتشرت الاوبئة والمجاعات فمات منها مئات الالوف من الاهلين ولما يكن التعايشي يطمع الا في استبقاء نفوذه في البلاد التي دانت للمهدى ولكن الانكليز اخذوا يبالغون في قوته ويظهرون القلق من اعتزامه غزو مصر لكي يسوغ بقاءهم في مصر وحمايتها كما يقولون من غزوات الدراويش ٠

المعارك في السودان المصرى والجميزة

سقطت القلابات في مارس ١٨٨٥ قبل وفاة المهدى وسقطت كسلى عاصمة مديرية كسلى على عهد التعايشي وقد بدأ حصارها في عهد المهدى ثم استولى عليها الدراويش في ٢٩ يوليو ١٨٨٥ ٠ وقد اظهر عثمان بك قائد هذه الحامية شجاعة عند اعداده بامر عثمان دجنه ظلما وسقطت سنار في ١٩ اغسطس ١٨٨٥ بعد دفاع مجيد وقد صودر جميع الذهب الذى وجود لدى الاهلي وكانوا اغنى اهل السودان ٠

وقد نشط الدراويش في سبتمبر عام ١٨٨٨ لمهاجمة سواكن فنزلوا بالقرب من ابار المياه التابعة لحامية سواكن في اوكتوبر من تلك السنة شرعوا في ردم تلك الابار فردهم عنها الجنود المصريون وارسلت الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية المدد الى سواكن لصد هجوم الدراويش وفي ٢٠ ديسمبر ١٨٨٨ خرج الجيش المصرى بقيادة (السردار جرنفل باشا) من سواكن وزحف على مقل الدراويش والتحم معهم بمعركة شديدة عرفت بمعركة (الجميزة) وقد اوقع بهم وشتت شملهم واجلاهم عن معقلهم ٠

المعارك والمناوشات في مديرية دنقلا

احتل الدراويش مدينة دنقلا في اوغسطس عام ١٨٨٥ عقب اخفاق حملة اللورد ولسلي وجلاء القوات المصرية والانكليزية عنها ووقعت مناوشات في ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ فقد حاصر الدراويش قلعة (كوشة) واستولوا عليها ثم استولوا على سرس على بعد ثلاثة اميال منها وجعلت الحكومة اخر حدود مصر الجنوبية بعد هذه الواقعة وادى حلفا ولكن ما لبث الدراويش ان عادوا فاحتلوها فاغرى ذلك التعايشي فاوفد رجاله لغزو القرى الواقعة على الحدود وقد احتل الدراويش سرس في اواخر ١٨٨٦ ٠

واستمرت معارك الحدود بين الطرفين حتى عام ١٨٨٩ حيث قتل عبد الرحمن النجومي والذى ترك مقتله اكبر الاثر في ارجاء السودان لما كان له من المنزلة الرفيعة بين اتباع المهدى فهو بلا مراء اشهر قواده وكان مقتله في المعركة المعروفة بمعركة (طوشكي) التي حدثت في ٣ اغسطس ١٨٨٩ والتي تعتبر مقدمة لتفكك كيان الدولة المهدية واضمحلالها ٠

واقعة طوكر

كان النصر الذى احرزه الجيش المصرى في طوشكي حافزا له على محاربة الثوار في السودان وخاصة عندما استفاضت الانباء عن ظلم التعايشي وعن الانقسام الذى وقع بين انصاره وقد تم للجيش المصرى في يوم ١٩ فبراير عام ١٨٩١ الانتصار على الدراويش واسترداد بلاد طوكر بعد ان بسط الدراويش عليها سلطتهم مدة سبع سنوات ٠

الفصل الثالث

اقتسام املاك مصر في السودان

يتبع

انتهزت انكلترا فرصة اخلاء السودان واخذت تنفذ خطتها المرسومة من انتقاص اطرافه والتواطوء مع مختلف الدول على اقتسام املاك مصر في ارجائه •

آ — في السودان الشرقي •

وقد بدأت انكلترا في السودان الشرقي فقد اخلت الحامية المصرية مصوع عام ١٨٨٥ تنفيذا لقرار اخلاء السودان واحتلها الايطاليون في تلك السنة باتفاقهم مع الانكليز واستولوا ايضا على محافظة مصوع كلها وبلاد الاريتيريا وراس جردفون اما الانكليز فقد استولوا على محافظتي ؟ زيلع وبربرة) ١٨٨٤ • واما الفرنسيون فقد استولوا على تاجورة تاجورا وجيبوتي • وقد جلى المصريون عن هرر سنة ١٨٨٤ وعادت الى الاسرة التي كانت تحكمها قبل الفتح المصري ثم استولى عليها الاحباش عنوة سنة ١٨٨٧ واستولوا ايضا على بني شنقول من اعمال فازوغلي • وعقدت ايطاليا وانكلترا معاهدة ١٥ ابريل سنة ١٨٩١ التي اكملت بمعاهدة ٥ مايو ١٨٩٤ فسوت الدولتان اقتسام النفوذ بينهما في السودان اذ اقرت انكلترا ما اخذته ايطاليا على حدود البحر الاحمر وفي الصومال وجعلت هرر ومعظم اوجسان وبلاد الصومال الى راس جردفون داخلة في املاكها ورخصت ايطاليا باحتلال كسلا والاراضي المتاخمة لها حتى نهر العطبرة احتلالا مؤقتا الى ان يتاح للحكومة المصرية استردادها واقرت ايطاليا لانكلترا احتلالها (زيلع وبربرة) •

واحتل الايطاليون كسلا في ١٧ يوليو ١٨٩٤ اعتمادا على هذا الاتفاق ثم طالبتها بها انكلترا بعد انتصار الحملة المصرية الانكليزية فعادت الى السودان سنة ١٨٩٧ •

ب — مديريـــة خـــط الاستـــواء

بدأت هذه المديرية في املاك مصر اعتبارا من مايو ١٨٧٢ واستطاعت ان تبسط سلطتها على جميع البلاد التي حول بحيرة فكتوريا والبيرت واكتشفت بحيرة ابراهيم المسماة الان بحيرة (كيوجا) احدى البحيرات التي ينبع منها النيل وكانت مديرية خط الاستواء هذه تمتد من جنوبي (فاشودا) الى جنوبي خط الاستواء وقد اضطرت الحكومة المصرية اخلاء هذه المديرية في اوائل سنة ١٨٨٩ •

معاهـــدة اول يوليو ١٨٩٠ بين انكلترا والمانيا

اعتزمت انكلترا بعد جلاء المصريين عن مديرية خط الاستواء ان تتفق ومنافسيها من دول الاستعمار على ان تقصي هذه المنطقة من نصيبها فابرمت والمانيا معاهدة اول يوليو عام ١٨٩٠ تضمنت اقرار المانيا لانكلترا بالمركز الذي تطلبه انكلترا لنفسها في اعالي النيل ونصت المعاهدة على ان افريقيا الشرقية البريطانية تمتد الى حدود مصر والى حدود الكنغو البلجيكية وبعد ابرام هذه المعاهدة سيرت الحكومة البريطانية حملة على اوكاندا لبسط نفوذها فيها وفي سنة ١٨٩٣ اعلنت بسط حمايتها عليها واستولت على (اوكاندا واوينورو) وبذلك وطدت مركزها في اواسط افريقيا واطلعت قبل ان توعز الى الحكومة المصرية باسترداد السودان حتى تكون لها عليه السيطرة التامة بعد استرداده •

معاهدة ١٢ مايو سنـــــة ١٨٩٤ بين انكلترا والبلجيك

عقدت انكلترا مع بلجيكا معاهدة في ١٢ مايو ١٨٩٤ كان الغرض منها الحيلولة بين فرانسا وحوض النيل

يتبـــــع

، مزاحمتها وقد حددت هذه المعاهدة الحدود بين ولاية الكونغو التابعة لبلجيكا وبين السودان واقتطع الملك
بولد الثاني ملك البلجيك اقليم (اللادو وبحر الغزال) باتفاقه من انكلترا وضمها الى مستعمرة الكونغو لمـــدة
ـت في عام ١٩٠٦ .

يادة السودان واتفاقية ١٩ يناير عام ١٨٩٩

. ظلت مديريات السودان في يد المهديين الى ان اخذت مصـــر
تعيد واحدة بعد الاخرى بعد ان طاب لانكلترا ان يستردوا السودان لحسابهم بقوات مصر واموالها فبدأت بفتـــح
ي ١٩ فبراير ١٨٩١ ثم انتهت باستعادة سائر مديريات السودان والقضاء على دولة الدراويش وقتل الخليفـــة
الله التعايشي في ٢٤ نوفمبر ١٨٩٨ واكرهت انكلترا الحكومة المصرية على ابرام اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩ التي جعلـــت
دان شركة بين مصر وانكلترا وانتقصته من اطرافه فصار يشمل السودان المصرى عدا ما اغتصبته منه الدول .
وتراجع الحد بين مصر والسودان فاصبح ينتهي عند الخط ٢٢ من خطوط العرض واصبح حد السودان الشمالي
(فرص) شمالي وادى حلفا بعد ان كان الحد الجنوبي لمصر قبل الفتح الاول للسودان يصل الى جزيرة (ساى)
وادى حلفا . وكان ينتهي قبل الاحتلال الانكليزى عند (سارس) جنوب وادى حلفا ايضا وصار الحد الجنوبي للسودان
الان عند (ينمولي) الابراهيمية بعد ان كان يشمل بحيرة فيكتوريا وبحيرة (البرت) وتعتبر اتفاقية السودان المعقودة
١٩ يناير ١٨٩٩ باطلة ولاغية لا قيمة لها وذلك لان الحكومة البريطانية وضعت مصر تحت وصايتها منذ اليوم الاول —
لالها وصارت مصر امامها بمنزلة القاصر امام الوصي المحجور عليه ولانها تمنح الاول فوائدا بينما تلحق بالثاني الاضرار

اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩ بين مصر وانكلترا بين حكومة جلالة ملكة انكلترا وحكومة الجناب
العالي خديوى مصر بشأن ادارة السودان في المستقبـــــل

حيث ان بعض اقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائـــل
بية والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانكليز والجناب العالي الخديوى وحيث قد اصبح من الضرورى
نظام مخصوص لاجل ادارة الاقاليم المفتتحة المذكورة ومن القوانين اللازمة لها بمراعاة ماهو عليه من الجانب العظيم
لك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال الى الان وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة .
وحيث انه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على مالها من حق الفتح وذلك بشأن
في وضع النظام الادارى والقانوني الانف ذكره وفي اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل . وحيـــث
ان من جملة وجوه اصوبية الحاق وادى حلفا وسواكن اداريا بالاقاليم المفتتحة المجاورة لهما لذلك قد صـــار
الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بمالهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو .

المادة الاولى — تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضي الكائنة الى جنوبي الدرجة الثانية والعشريـــن
خطوط العرض وهي .

أ — الاراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ عام ١٨٨٢ او "
ب — الاراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الان —
حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد او "
جـ — الاراضي التي قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الان فصاعـــدا .

......../ يتبـــع

وهناك حالة رابعة لم تدخل في نطاق هذه الاتفاقية تلك هي الاراضي المحتلة بالجنود البريطانيين وحدها والتي كانت تابعة لمصر مثل القسم الجنوبي من مديرية خط الاستواء القديمة ومنطقة البحيرات العظمى والتي تصرفت فيها بريطانيا فيما بعد بموجب معاهدات ابرمتها مع الدول الاخرى • ولقد كانت انكلترا حتى يوم ١٩ يناير ١٨٩٩ وهو تاريخ عقد الاتفاق بين مصر وانكلترا تعترف دائما وفي كل الاوقات بحقوق مصر الكاملة في السودان يبدو ذلك من بعض شذرات اقوالهم في هذا الصدد • جاء في الجزء الثاني من الكتاب الازرق عن مصر لعام ١٨٩٨ في المراسلات المتبادلة مع الحكومة المصرية حول وادي النيل الاعلى رسالة تحمل الرقم ١٠ ارسلها السير ١٠ مونسن من باريس في ٢٢ سبتمبر ١٨٩٨ الى مركز سلزبوري مايلي "

((ان حكومة صاحبة جلالة الملكة لا تسلم بتاتا في بقائه (اي في بقاء مارشان هناك) اي في فاشودا والتوافق على التخلي في حق مصر باستعادة جميع البلاد التي كانت خاضعة موقتا للحكم... الخليفة والتي كانت قبل ذلك جزءا من اراضيها)) •

وجاء في بعض مراسلات ضمن رسالة ذات رقم ١٩ ارسلها سير ١٠ مونسون من باريس في ٢٧ سبتمبر ١٨٩٨ الى مركز سلزبوري (لقد اوضحت له اي لوزير خارجية فرانسا ان برقية سيادتكم المؤرخة في ١٩ الجاري والتي ابلغتها اليه فيها حينها يستفاد منها ان حكومة جلالة الملكة تعتبر حقوق مصر في فاشودا لا تتحمل اية مناقشة) •

وجاء في هذه المراسلات بالصفحة رقم ١٨ ضمن الرسالة رقم ٣ العبارة الاتية وهي مقتبسة من خطابة القاهرة سير ١٠ غراي) في مجلس النواب البريطاني بتاريخ ٢٢ مارس ١٨٩٥ " ((وهناك غير ذلك مسألة مطالب مصر فموقف انكلترا امام مصر موقف خاص يشبه موقف امين أو مؤتمن على وديعة وهذا فيما يختص بحفظ مصالحها وهذه المطالب لم نؤيد نحن فقط بل ايدتها اخيرا حكومة فرانسا كذلك •))

المادة الاولى — يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معا في البر والبحر بجميع انحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصري فقط •

المادة الثالثة — تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب حاكم عموم السودان يكون تعيينه بامر عال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بامر عال الخديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية •

المادة الرابعة — القوانين وكافة الاوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به والتي من شانها تحسين ادارة حكومة السودان او تقرير حقوق الملكية فيه بجميع انواعها وكيفية ايلولتها والتصرف فيها يجوز سنها او تحويرها او نسخها من وقت الى اخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والاوامر واللوائح يجوز ان يجري مفعولها في جميع انحاء السودان او على جزء معلوم منه ويجوز ان يترتب عليها صراحة او ضمنا تحوير او نسخ اي قانون او اي لائحة من القوانين او اللوائح الموجودة وعلى الحاكم العام ان يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجناب العالي الخديوي •

المادة الخامسة — لا يجري على السودان او على جزء منه شيء ما من القوانين او الاوامر العالية او القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الان فصاعدا الا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بكيفية السالف بيانها

يتبع

المادة السادسة ـ المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان وبيان الشروط التي بموجبها يصرح الاوربيين من اية جنسية كانت حرية المتاجرة او السكنى بالسودان او تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا اية دولة او دول .

المادة السابعة ـ لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الاتية من الاراضي المصرية حين دخولها الى السودان ولكن يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الاراضي المصرية الا انه في حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن او اية ميناء اخرى من موانيء ساحل البحر الاحمر لا يجوز ان تزيد الرسوم التي تحصل عليها من القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز ان تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بمنشورات التي يصدرها بهذا الشأن .

المادة الثامنة ـ فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على اية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه .

المادة التاسعة ـ يعتبر السودان باجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام .

المادة العاشرة ـ لا يجوز تعيين قناصل او وكلاء قناصل او مأمورى قنصلات في السودان ولا يصرح لهم بالاقامة به قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

المادة الحادية عشرة ـ ممنوع منعا مطلقا ادخال الرقيق الى السودان او تصديره منه وسيصدر مرسوم بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن .

المادة الثانية عشرة ـ قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الاسلحة النارية والذخائر الحربية والاشربة المقطرة او الروحية وبيعها وتشغيلها .

تحريرا بالقاهرة في ١٩ يناير عام ١٨٩٩ الامضاءآت

كرومر بطرس غالي

ان نصوص هذه الاتفاقية مبهمة جدا ومن الممكن تأويلها بوجوه كثيرة ولكن اللورد كرومر هو احد الطرفين في عقد هذه الاتفاقية وهو واضعها قد كشف في تقريره عن مصر والسودان عام ١٩٠٠ الغطاء عن الغموض الذى جاء بالاتفاقية المذكورة . فقد جاء بالكتاب الازرق عن مصر عام ١٩٠١ ج ٠ ص٠ ع في هذا التقرير الذى رفعه الى حكومته المعتمد السياسي لها وقنصلها العام في مصر عن المالية والادارة والحالة العمومية فيها وفي السودان ما يأتي

((لاحظت فيما ابداه مجلس شورى القوانين من الملاحظات اثناء النظر في ميزانية السنة الحالية ان المجلس المذكور يوافق على المصروفات المقدرة لحكومات السودان لان الاعضاء يعتبرون تلك البلاد جزأ من مصر لا يتجزأ وهذا الرأى وان كان صحيحا في الجوهر الا ان نظام الحكم في السودان مقيد بنصوص الاتفاقية المبرمة بين مصر وبريطانيا العظمى في ١٩ يناير ١٨٩٩ . يتبع

وحيث انه من الجائز ان يكون بعض اعضاء هذا المجلس غير محيط بمرمى هذه الوثيقة احاطة تامة فانتهز

هذه الفرصة لابين انها لم تبرم لرغبة في النفوذ او لغرض انتقاص حقوق مصر الشرقية • فالغرض واضحها الاصلي

كانت اولا توطيد اركان حكومة صالحة لشعب السودان • ثانيا — وقاية هذه البلاد من الارتباكات الخاصة الس

خلقها في مصر نظام دولي اى (الامتيازات) ولا يجهل اعضاء المجلس على ما اظن ما تؤدى اليه هذه الارتباكا

من شتى العراقيل • وقد لاحظت ايضا ان المجلس المذكور يطلب تبليغه تفاصيل ايرادات حكومة السودان ومصـ

ومن البين انه لا يمكن ان تماون في اجابة مثل هذا الطلب الحق ولذلك عنيت بتلبيته وارسلت الى المجلس الم

اليه ميزانية حكومة السودان عن السنة الحالية)) •

وجاء ايضا في تقريره الذى رفعه الى حكومته عن المالية والادارة الحالية العمومية في مصر وفي السود

سنة ١٩٠٢ الكتاب الازرق عام ١٩٠٣ ج ١ ص ١ ما يأتي •

ولقد سئلت مرارا لماذا لا تتحمل الخزينة الانكليزية قسما من النفقات اللازمة لادارة البلاد ما دامت الرايـــ

الانكليزية تخفق عليها بجانب الراية المصرية ؟ وهو سؤال في محله ولكن الجواب عليه بسيط جدا عند جميـ

الذين يعرفون تاريخ الاتفاقية المعقودة في ١٩ يناير ١٨٩٩ وبموجب موادها منح السودان مركزا سياسيا خاصا

تلك الاتفاقية وضعت خاصته لتخليص السودان ومصر ايضا في ادارة شئون السودان من القيود الدولية المشوشة ا

آلت الى كثير من الاختلاط والارتباك في الادارة المصرية ولولا هذا الاعتبار وما كان هناك داع من الوجهة الا

يدعو الى دفع الراية الانكليزية على الخرطوم اكثر مما يدعو الى رفعها على اسوان وطنطا)) •

يتضح بجـــلاء تام من الشروح التي ذكرها لورد كرومر فيما تقدم ان حقوق مصر في السود ان ظلت مصـ

ومصونة رسميا حتى بعد توقيعه الاتفاقية وهذه التصريحات لها قيمتها الخاصة لانها صادرة من الواضع الاصلـ

لهذه الاتفاقية وهو ادى واحد بتفسيرها بلا نزاع وتبديد ما في نصوصها وعباراتها من اللبس والابهام ومن غـ

الجائز ايضا ان نظن لحظة واحدة ان اللورد كرومر اقدم من تلقاء نفسه على هذه التفسيرات بدون موافقة حـ

وبناء على ذلك تعتبر تفسيراته السابقة لتلك الاتفاقية اعترافا رسميا من جانب الحكومة البريطانية بحقوق مصر في ا

ولكن انكلترا لم تكن مخلصة في تصريحاتها هذه او انها قد عنت ما قالته وليس ادل على ذلك ما

اخراج المصريين من السودان قسرا بعد ذلك واصبح المصريون •

١ — غير مسموح للحكومة المصرية ان تخاطب حاكم السودان العام راسا والحال انه معين بمرسوم من

ملك مصر •

٢ — لا يجوز لمصرى ان يدخل السودان الا ان يقوم باجراءآت رسمية معينة وحصوله على جواز يد

لو كان مسافرا الى روسيا او الصين • هذا بالاضافة الى ما يعترض من الحصول على هذا الجواز من عقبات •

٣ — ليس لابناء مصر المقيمين في السودان الحق في دخولهم مدارس حكومة السودان حتى ولو كان ا

من موظفي هذه الحكومة •

وهكذا يبدو ان غاية انكلترا من اشتراك مصر في السودان تنحصر •

يتبـــع

أ - في ان تدفع مصر الاموال لتحسين هذا الاقليم .

ب - ان تريق دماء ابناء مصر في سبيل استعادة السودان .

ج - ان تكون خيرات هذه البلاد التي تنافس خيرات مصر في ايدي انكلترا كسلاح نافذ .

د - لتضع يدها على موارد المياه التي تروي مصر وحقولها وهي حياة مصر وروحها .

هذه مواد الاتفاقية بنصها الحرفي نقربها فتعليقا على هذه الاتفاقية اقول :

انها اتفاقية فريدة في باب الاتفاقيات اذ لم يسبق في عالم الاتفاقيات ان عقدت اتفاقية نظيرها في القانون الدولي اذ هي في الواقع فصل للسودان عن مصر وجعله مستعمرة انكليزية لما له في هذا الجزء من مصالح اقتصادية واستراتيجية وما فتئت مصر منذ توقيعها تنادي ببطلانها وعدم الاعتراف بها . فباقرارها بهذه الاتفاقية تخلى بتنازلها عن جهاد مئة عام في السودان واستهانتها بضحايا عشرات الالوف من المصريين وعشرات الملايين من التضحيات ما بذلته مصر في سبيل تثبيت دعائم الحكم والعمران في السودان . ان اتفاقية ١٨٩٩ تنافي الحق والانصاف ومصر لم تكن تنظر الى السودان كبلد غريب عنها بل كانت تعتبره جزءاً لا يتجزأ من ارض الوطن . وقد حققت انكلترا مراميها في هذه الاتفاقية على ما نحلته لنفسها من حق الفتح وعلى انها اشتركت مع مصر في استعادته مع ان الحقيقة تثبت ان انكلترا هي التي منعت مصر من تثبيت سلطانها هناك بعد ظهور ثورة المهدي وانها عملت على استفحال تلك الثورة ثم اكرهت مصر سنة ١٨٨٤ على تقرير اخلائه واستقال المرحوم شريف باشا احتجاجا على التدخل والواقع ان انكلترا لم تساهم باستعادته الا بمقدار ضئيل فاقرار المعاهدة لهذه الاتفاقية هو اقرار للغصب والعدوان على حقوق مصر وجعله اساسا للتحالف . ولم تكتف باقرار الاتفاقية فحسب بل اقرت الحالة الواقعية في السودان كما هو نص المادة ١١ من الاتفاقية التي تنص بان يواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى الاتفاقية فهذا النص هو اقرار صريح للحالة الحاضرة في حكم السودان ولا يخفى ان هذه الحالة تخالف من اتفاقية سنة ١٨٩٩ لان هذا الاتفاق قوامه اقامة الحكم الثنائي في السودان . ولكن الامر الواقع ان الحكم هناك هو الحكم البريطاني منفردا يتولاه الحاكم العام وان سلطة الحكم في السودان قد استأثر بها الانكليز .

حاكم السودان العام وسلطته

يجمع الوفاق السلطات العسكرية والمدنية كافة في يد موظف واحد هو الحاكم العام فيجعله في وقت السلم حاكما فردا غير محدود . وهذا الحاكم العام الذي تعينه الحكومة المصرية بناء على اقتراح الحكومة البريطانية كان دائما بريطانيا في الوقت الذي لم يكن في الوفاق ما يمنع من ان يكون مصريا . كما ان جميع الموظفين الذين كانوا يعاونونه كانوا من الانكليز .

حاولت بريطانيا ان توجه الادارة توجيها ينم عن اغفال مطلق لحقوق مصر ومثال ذلك ان القوانين التي في السودان كانت الى سنة ١٩١٢ تتوقف على اقرار الحكومة المصرية كما هو مفهوم احكام الوفاق ولكن الحاكم اقدم منذ سنة ١٩١٢ اكثر من مرة على اصدار قوانين حتى دون ان يحيط الحكومة المصرية علما بها .

يتبع

وفي سنة ١٩٢٣ عندما وضع الدستور المصري تدخل المندوب السامي البريطاني بالضغط والتهديد لرفع عبارة — (ملك مصر والسودان) والتي اعدت لقبا للملك واصر على ان يكتفى بتلقيبه ملك مصر .

الفصـــــل الرابـــــع

لمحـــة عـــن الســـودان بـين عـام ١٩٢٤ — ١٩٥١ .

لم تكتف بريطانيا باشتراكها في حكم السودان الى جانب الحكم المصري الذى نوهت عنه اتفاقية ١٨٩٩ باسم الحكم الثنائي بل اخذت تسعى في ابعاد مصر عن السودان لتنفرد بالحكم فيه تحقيقا للهدف الذى رسمت له سياستها بعد ان وطئت قدماها ارض مصر . وذلك في فصل مصر عن سودانها وجعله مستعمرة انكليزية تضمه الى امبراطوريتها الواسعة فتصبح بذلك جارة الى مصر وحليفتها تترقب اخبارها وتطلع على نواياه بين فترة واخرى .

ومنذ ذاك الوقت وحتى هذه الساعة ومصر تعمل لازاحة هذا الكابوس الثقيل الذى ارهق كاهلها منذ سنة ١٨٨٢ السنة التي احتل فيها الانكليز مصر . فكم من دماء بريئة اريقت على مذبح انكلترا الغاشم التي ما زالت صامدة لا تتزحزح بل كانت تلجأ الى وسائل ملتوية وسبل معوجة كي تترك مصر في موقف المترقب طيلة القرن الماضي وهي على احر من الجمر في استمرار الساعات التي مرت بالمصريين فتتحطم فيها آمالهم على صخرة اعتداد بريطانيا ... وبأسها فمن مفاوضات زغلول — ملنر في سنة ١٩٢٠ الى مفاوضات عدلي — كرزون عام ١٩٢١ الى محادثات ... — ماكدونالد عام ١٩٢٤ الى محادثات محمد محمود خط هندرسون ١٩٢٩ — الى مفاوضات النحاس — هندرسون ... الخ كل هذه المفاوضات وانكلترا في سياستها هي هي لا يلحقها تغيير ولا تبديل سوى فترة استعمار السودان وفصلها عن مصر فباتت تترقب الفرص لتظهر خفاياه الى حيز العمل الى ان تهيأت لها بعد مقتل سردار — الجيش المصري .

بعد مقتل السردار واستغلال بريطانيا للحادث

وهكذا حانت الفرصة التي طال انتظارها لجعل السيطرة البريطانية على السودان اكمل ما يمكن ان تكون ولوضع حد للادارة المشتركة التي انشأها وفاق ١٨٩٩ فقد حدث في سنة ١٩٢٤ ان قتل بالقاهرة سردار الجيش المصري وكان في الوقت نفسه حاكما عاما للسودان وكان مقتله بفعل افراد غير مسئولين على ان بريطانيا اسرعت الى ان تستفيد من الحادث ولم تكتف مصر من الاعتذار الرسمي بل طالبت بمزايا جوهرية هي تعويض قدره نصف مليـــون جنيهات وسحب جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصري المحت من السودان في خلال ٢٤ ساعة واطلاق يدها في مياه النيل خلافا لكل اتفاق سابق . وقد جاء في تقرير معتمد عن المسائل الدولية نشره في لندن — المعهد الملكي البريطاني تعقيبا على احداث سنة ١٩٢٤ ما يلي :

((ان الاجراء الذى اتخذ في هذه المسألة كان مهينا للحكومة المصرية اهانة تكاد تبدو في كل جزء مـــن جوانبه)) واذ رفضت الحكومة المصرية الاذعان لهذه المطالب احتل البريطانيون جمرك الاسكندرية وسيلة للاكراه واضطرت القواة المصرية الى الانسحاب من السودان حقنا للدماء وبقيت مبعدة عنه حتى اعيدت بعض الوحـــدات

يتبع

المصرية الى حكام السودان بعد سنة ١٩٣٦ .

الادارة الانكليزية في السودان

استخدم البريطانيون سلطتهم لخدمة مصالحهم الخاصة وحدها فوجهوا الادارة وجهة استعمارية وبقيت الاحكام العرفية سارية على البلاد منذ بدأت ادارتهم لها . وكان طبيعي بعد ذلك ان يؤثر العمل وراء ستار فجهدوا ما وسعهم الجهد في عزل السودان عن العالم الخارجي وعن مصر بصفة خاصة . فليس في السودان قنصل اجنبي واحد او وكيل قنصل بل ان الحكومة المصرية في القاهرة لتجد مشقة كبيرة في الحصول على المعلومات من مصادرها الرسمية في السودان رغم ان ذلك حق لها . وعملت السياسة البريطانية على توهين الروابط الاقتصادية بين مصر والسودان فعمدت الى صد التيار التجاري عن طريقه الطبيعي التقليدي الى الشمال . وعمدت تحويله الى موانئ البحر الاحمر فكان من ذلك ان مدنا كثيرة من مدن السودان الشمالي تدهورت بعد ازدهار وفوق ذلك نتج عن تصرفات الادارة المحلية ان تأثرت واردات السودان من مصر .

محاولة فصل السودان عن مصر

لقد توسل البريطانيون بالدعاية والبطش لاسكات جموع السودانيين الذين ينادون ببقاء وحدتهم مع مصر فاتفقوا في عام ١٩٤٦ على نائب رئيس وفد السودان الذي يدين بالوحدة واعتقلوه . ولما اراد بعض المصريين المحامين الدفاع عنه منعتهم الادارة الانكليزية من دخول السودان . والرأي العام مقيد في غير شفقة وحرية الصحافة لا وجود لها والرقابة مفروضة على الصحف المصرية والسودانية على السواء تمنع منها ما كانت آراؤه واتجاهاته لا تتفق مع ميول الادارة . وفي شهر يوليو عام ١٩٤٧ صودرت ثلاث صحف في الخرطوم تعسفا مما ادى الى اضراب عام للصحف في الخرطوم . واتخذت سياسة بريطانيا لفصل السودان عن مصر مظاهر شتى منها خطر الدعاء التقليدي في المساجد في خطب الجمعة لملك مصر ومنها تصعيب هجرة المصريين الى السودان عملا وان كانت الاتفاقية .. كما تم ابعاد المصريين تدريجيا من الوظائف وعرقلة الصلات الثقافية بين مصر والسودان وحرمان السودانيين من خريجي الجامعات المصرية من التوظف في الحكومة السودانية . كما انكرت بريطانيا على المصريين التعيين في منصب قاضي القضاة وهو منصب ديني يرمز الى الروابط الروحية التي تجمع شعب مصر والسودان .

كما اخذوا يصدرون البيانات الرسمية التي تحط من قدر المصريين واخذوا في بث رغبة الانفصال في السودانيين كما حاولوا خلق جنسية سودانية . كما اتجهوا خشية اخفاق في فصل السودان عن مصر اتجاها جديدا فحاولوا تقسيم السودان نفسه بفصل جنوبه عن شماله وقد عبر السكرتير الاداري لحاكم السودان عن ذلك بقوله .

(ان سياستنا تهدف الى ايجاد نظام حكم ذاتي في الجنوب يمكن ان ينفصل عن الشمال ويستقل عنه)

ومن التدابير التي اتخذت لتنفيذ هذه الخطة حظر الدخول الى المديريات الجنوبية ومعاملة اهالي الشمال الذين يقطنون في جنوبي السودان معاملة مجحفة ومحاربة اللغة العربية وتحريم الزواج بين اهل الشمال من السودانيين واهل الجنوب . كذلك انشأ مجلس استشاري خاص لشمال السودان خدمة لاغراض سياسية كما راحت تصور للسودانيين ان وحدة وادي النيل انما هي فكرة استعمارية بالنسبة للمصريين .

يتبع

محادثات صدقي — بيفن بشأن السودان

كان من جراء اصرار مصر على وحدة وادى النيل في المفاوضات التي دارت في القاهرة ان غادر ممثلو بريطا
في القاهرة في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٦ • وقد اراد صدقي باشا رئيس وزراء مصر ووزير خارجيتها انقاذ الموقف فـ سف
الى لندن حيث قابل المستر بيفن • وفي هذا قال المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية في مجلس العموم يوم ٢٨
اكتوبر ١٩٤٦ بشأن تبادل وجهات النظر في لندن " (كانت محادثات شخصية لا مفاوضات وقد اجريت بعد تفاهـ
الجانبين على عدم ارتباط حكومتيهما بشيء وانها محادثات سرية ") •

لقد حاول الوزيران ما استطاعا ايجاد تسوية للنزاع من جميع وجوهه ومعنى ذلك ان الوثائق التي وقعاهـ
بالاحرف الاولى سجلت عدة مسائل وحلول • وقد اعترف المستر بيفن في احدى الوثائق بمطلب مصر الاول الخاص
بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى، ولكن ما كاد هذا الامر يذاع حتى فسرت تلك الوثيقة تفسيرات مختلفة فقا
البريطانيون " ان اعترافهم مقصور على السيادة الرمزية بالرغم من ان سيادة مصر الفعلية على السودان لم تب
خلال المفاوضات •

وقد اقترح المستر بيفن في ٦ ديسمبر ١٩٤٦ ان يبعث اليه صدقي باشا خطابا تفسيريا يلحق بالمعاهـ
ن طلب من صدقي باشا فيما طلب منه ان يقر بمشروع البروتوكول الخاص بالسودان وهو المشروع الذى وقعه
والمستر بيفن بالاحرف الاولى من اسميهما يعد بمثابة توكيد للحالة القائمة في السودان وانه لا يمس بحال من الا
حق المملكة المتحدة في تأمين الدفاع عن السودان • وقد رفض صدقي باشا ان يوقع مشروع الخطاب الذى قد
بيفن بل بعث اليه بدلا من ذلك بمذكرة بين فيها الصورة الواضحة التي خرج بها من مشروع البروتوكول واشار الى ا
التفسير البريطاني له قد نأى به عن اصل مدلوله وتجاوز المحادثات التي ادت الى وضعه •

انكلترا تنشيء للسودان مجلسا استشاريا

في عام ١٩٤٤ انشأت حكومة السودان مجلسا استشاريا لشمال السودان وحده اى ((للمديرية الشماليـ
والخرطوم وكسلا والنيل الازرق وكردفان ودارفور)) دون مديريات جنوب السودان وهي " المديرية الاستوائيـ
... زل واعالي النيل • وكان المجلس مكونا من ثمانية عشر عضوا يمثلون مجالس المديريات وعشرة اعضاء عينهـ
الحاكم العام وعضوية شرفية السيد علي ميرغني باشا رئيس الطريقة الختمية والسيد عبدالرحمن مهدى باشا رئيـ
الانصار وكان قصر تمثيل المجلس الاستشارى لشمال السودان نوعا من جس النبض لما اعتزمته السياسة الانكليزية و
في المراحل السابقة من فصل هذا الجزء الجنوبي وضمه الى اوكاندا بعد ان فصلت اوكاندا عن المديرية الاستوا

دستور ١٩٤٨ للســــــــــودان

ينص دستور ١٩٤٨ للسودان على انشاء مجلس تنفيذى مكون من عدد يتراوح ١٢ ـ ١٨ عضوا نصفهم على
من السودانيين ويضم زعيم الجمعية التشريعية والوزراء وبعض المستشارين الذين لا يتولون وزارة معينة ووكلاء ال
كما ينص هذا الدستور على انشاء الجمعية التشريعية التي تضم عشرة اعضاء منتخبين وطريق الانتخاب المباشر يمثل
المدن السبع الكبرى في السودان واثنين واربعين عضوا منتخبين بطريق الانتخاب غير المباشر يمثلون باقي ال

يتبـع

سودان الشمالي • وثلاثة عشر عضوا يمثلون مجلس المديريات الجنوبية الثلاث وعشرة اعضاء يعينهم الحاكم العام
عضاء المجلس التنفيذي اذا لم يكونوا قد انتخبوا وعينوا في الجمعية •

والمجلس التنفيذي في السودان حتى اوكتوبر عام ١٩٥١ مكون من وزير الزراعة وزير الصحة ووزير المعارف
لم سودانيون ومن مستشار بالوزارة سوداني واثنين من المستشارين البريطانيين والسكرتير الاداري والسكرتير
قضائي والمالي وهم بريطانيون ومن قائد الامن ومن اثنين من وكلاء الوزارة السودانيين رغم كثرة عدد القبائل
بمديريات جنوبي السودان الثلاث فان الجمعية التشريعية لا تضم الا ممثلي ثلاث قبائل فقط • فمن بين الخمسة
الذين يمثلون المديرية الاستوائية ممثل لقبيلة الباري وممثل لقبيلة المورو ومن بين الاربع الذين يمثلون مديرية اعالي النيل
ثلاثة لقبيلة الدنكا ومن بين الاربعة الذين يمثلون بحر الغزال ممثل آخر لقبيلة الدنكا وباقي الثلاثة عشر ممثلا لجنوب
السودان موظفون تابعون في حكومة السودان عينوا تعيينا بواسطة المديرين البريطانيين الذين يرأسون مجالس
المديريات وقد قاطعت الجبهات الوطنية المحبذة للاتحاد مع مصر هذه الانتخابات التي اخرجت بالنتيجة لجنة تعارض
الاتحاد مع مصر •

ولما اجمعت الهيئات الوطنية السودانيين على مقاطعة الجمعية التشريعية عادت السياسة البريطانية تضفي لونا
جديدا على دستورها بابدائها استعدادها لتعديل الدستور تعديلا من شأنه ان يزيل اعتراضات المعترضين •

ابطال معاهدة ١٩٣٦ والظروف التي عقدت بها

لا شك ان توقيع معاهدة ١٩٣٦ كان وليد العدوان الماثل في وجود الاحتلال البريطاني الذي هو مصدر —
المعاهدة ولولاه لما حصلت بريطانيا على موافقة الجانب المصري عليها وقتئذ فقد كان في استطاعته ان يرفض
توقيعها كما رفض من قبل توقيع مشروعات غيرها ولكن الرغبة الجامحة في محالفة المناصب ومصادقاته والبقاء في الحكم
والاستمتاع بفوائده كل ذلك كان له الاثر البالغ في توقيع هذه المعاهدة فأساسها باطل والرضا بها باطل طالما انها
وليدة الاكراه والغصب اللذين يتمثلا في كل المفاوضات التي سبقت مشروعات المعاهدة • ولقد دلت الحوادث —
المتلاحقة منذ اخفقت المفاوضات سنة ١٩٢١ على ان كل اخفاق فيها وكل امتناع من جانب مصر عن قبول المعاهدة
تبعه تهديد بريطاني وعدوان على مصر • فاخفاق مفاوضات سنة ١٩٢١ اعقبه اشتداد الضغط والارهاب ونفي زغلول
ورفاقه الى جزائر سيشيل • واخفاق مفاوضات سعد عام ١٩٢٤ اعقبه الانذار البريطاني في ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤
اثر مقتل السردار وهو الانذار الذي استباحت فيه الحكومة البريطانية طرد الجيش المصري من السودان واهدار
الاستقلال واخفاق مفاوضات ثروة ١٩٢٨ اعقبه تقديم الحكومة البريطانية مذكرة ٤ مارس ١٩٢٨ التي استباحت لنفسها
التدخل في التشريع الداخلي بحجة هذه المفاوضات قد فشلت واعقبه ايضا الانقلاب الثاني الذي عطل الحياة —
الدستورية واخفاق مفاوضات النحاس سنة ١٩٣٠ اعقبه الانقلاب الثالث والغاء الدستور وفرض نظام بغيض على البلاد •

كل هذه الوسائل العدوانية كان لها اثرها في جنوح الجانب المصري الى قبول هذه المعاهدة سنة ١٩٣٦
ولا يصرفنا هذا الابطال عن ان تحمل الجانب المصري مسئولية الاذعان له فقد كان واجبا ان يستمر في مقاومته ولا
يقبل معاهدة تهدر الاستقلال وتقر الاحتلال •

يتبع

غير ان الشعب المصري وان قبل هذه المعاهدة على مضض الا انه ما زال ينتظر الساعة التي تمكنه فيهـــا ن يحليج بالمعاهدة جانبا وينادي بالغائها الى ان كان يوم ٨ اوكتوبر عام ١٩٥١ وهو التاريخ الذي اصدرت فيه مصر قانونا نصت المادة الاولى منه على ان " يلغى القانون رقم /٨٠/ لسنة ١٩٣٦ بالموافقة على معاهدة الصداقة التحالف بين مصر وبريطانيا الموقعة بلندن في ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ . ومن ثم ينتهي العمل باحكام تلـــك المعاهدة والاتفاق المرافق لها الخاص بالاعفاءآت والميزات التي تتمتع بها القوات البريطانية الموجودة في المملكة المصرية وينتهي العمل كذلك باحكام اتفاقيتي ١٩ يناير و ١٠ يوليو ١٨٩٩ بشأن ادارة السودان واصدرت قانونـــا نصت المادة الاولى منه على ان (يكون للسودان دستورا خاصا تعده جمعية تأسيسية تمثل اهالي الســودان بعد ان يصدق عليه الملك ويصدره) . وتنص المادة الرابعة منه على انه (يحتفظ بالشئون الخارجيـــة ون الدفاع والجيش والنقد فيتولاها الملك في جميع ارجاء البلاد) . كما اصدرت قانونا آخر نصت المادة الثانية منه على (الملك يلقب بملك مصر والسودان وهكذا اخذت مصر تنشر بما لديها من الوثائق والمحاضر الخاصة بالمحادثـات البرلمان والرأي العام على حقائق الموقف كاملة ولتعرف العالم كله ان مصر لم تتعسف ولم تتعجل ولكنهـــا ت بالحق الواضح الصريح وايدته بالحجج الدامغة ولا زال الجانب البريطاني يتشبث بالافكار الاستعماريـــة فات اوانها والتي هي في الواقع اكبر خطر يتهدد قضية الامن الدولي ويعرقل الجهود المبذولة لاستقرار السلم العالمي .

الفصـــــــل الخامـــــــس

الى متى ترجع ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وما هي الازمات التي غذتهـــا

ان ثورة ٢٣ يوليو (ثورة التحرير) لم تكن عفو الساعة بل ان جذورها تمتد الى يوم ٤ شباط ١٩٤٢ حين اعتدت القوة البريطانية على قصر الملك في عابدين لارغامه على قبول مصطفى النحاس رئيسا للوزارة .

كان الملك الى ذلك الحين يمثل في نظر الجيش رمز سيادة الوطن وشارة عزه وكرامته وفضلا على هذا وذاك القائد الاعلى للجيش فاذا انتهك الانكليز حرمة قصره فكأنهم حرمة الوطن وكرامة الجيش وهب الضباط الاحـرار علنوا سخطهم على المعتدين في شكل مظاهرة عسكرية الا ان الملك صرفهم عن هذه الفكرة واقنعهم بتأجيلهـا وقت آخر . بيد ان اجتماعات الضباط توالت في ناديهم وغرضهم مقاومة الاستعمار وعلى راسهم البكباشي جمال عبد الناصر الذي كان من المؤمنين بمبادئه الحرة يبث في نفوسهم الدعوة الى التحرير من كل كابوس يجسم على صدر الجيش . الى جانب هذه الهيئة كانت هناك هيئة اخرى تعمل لتقوية نفوذ الفريق ابراهيم عطا الله رئيس هيئة اركان الجيش وامثاله . فرأى جمال بثاقب فكره ان وجود هيئتين بين الصفوف من شأنه ان يحدث بلبلة فـــي الافكار وانقساما في الخواطر ولقد شاء القدر ان يكشف الجواسيس الخلية الاولى وقبض على افرادها .

وجاءت انكلترا فمنحت الفاروق لقب جنرال فخري في الجيش البريطاني فتألم الضباط الاحرار من هذا الوضـع زاد الالم في نفوسهم واخذ الضباط يبدون مظاهر سخطهم من عوامل اخرى شتى منها الانحلال والفساد في صفوف

يتبـــع

الجيش وجهل القادة المطبق واصرارهم على ان يجعلوا من ذلك الجيش اداة لزينة يختال الشوارع والساحات للسير في ركاب الملك وحفلاته واراد الفاروق ان يتقي نقمة الاحرار من الضباط فبادر بعزل رئيس هيئة اركان حرب ابراهيم عطا الله ولكن هذا الاخير لم يكن كل الفساد المتغلغل في صفوف الجيش اذ كانت مصر باسرها تحكم باهواء الملك ونزواته فالجيش خاضع لعقلية جامدة يحركها الفساد والانحلال المستمد في شخصية الملك .

ثم جاءت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وكان لها الاثر السيء في نفوس المحاربين المصريين اذ كانت الاسلحة فاسدة والذخيرة عاطلة لان السماسرة من المغامرين الذين باعوا انفسهم للشيطان حصلوا عليها بابخس الاثمان واخذوا الفرق بين السعرين لانفاقه في شهواتهم دون وازع او ضمير .

فهال الامر الضباط الاحرار وساروا ثورة السخط والتبرم لان ما حدث يتعلق بسمعة الجيش ورأوا ان الجيش لا يمكن ان يظفر بنصر ما دامت عوامل الضعف والخيانة مستولية على نفوس الكبار الذين تمتد ايديهم في الظلام لتعبث بالشرف العسكري . وسرعان ما انتشر الوعي بين الصفوف حتى اذا ما انتهت مأساة حرب فلسطين برزت هيئة الضباط الاحرار وقويت بعد ان صار لها هدف وقانون ونظام موحد وبدأت الجواسيس يتعقبون ضباط الجيش ليعرفوا ما هي لجنة الضباط الاحرار . وفي ايلول ١٩٥٠ اتجه الضباط بعرض الى الملك اذ كانوا لا يزالون يحسنون الظن في نياته لاصلاح الجيش وتقويم اعوجاجه وتقدموا بعض المقترحات الى الملك الا انه كان منصرفا عنها الى ما هو اجدى عنده .

الا ان صوت الضباط الاحرار كان اقوى فراحا يتغلغل في صفوف الجيش وتحمل منشوراتهم طابع العنف وقرع الحجة بالحجة . وحل موعد انتخابات مجلس ادارة نادي الضباط ورشح الضباط الاحرار انفسهم وعلى راسهم اللواء محمد نجيب الا ان المفسدين ابوا الا ان يتدخلوا في هذه الانتخابات وان يفرضوا مندوبا عن سلاح الحدود الذي هو حسين سري عامر فرفض الضباط هذا الوضع لان السلاح الذي يقوده من صنيعة القصر غير جديد بان يمثل ناديهم . ثار الملك وبعد دوقررت الجمعية العمومية للنادي استبعاد حسين سري عامر من عضوية النادي ثم نهض الضباط الاحرار يطالب الجمعية بالوقوف دقيقتين حدادا على الشهيد عبد القادر طه الذي اغتيل في جنح الظلام وكان اغتياله عذرا لتمسكه بمبادئه القويمة .

وهكذا منذ اكثر من شهرين كان يسود مصر موجة من الارهاب شملت كل شيء فالحرية الشخصية قد انعدمت والصحافة الحرة قد صودرت جميعها والسجون والمعتقلات فتحت ابوابها على مصراعيها لتضم خيرة المناضلين الوطنيين وبذلك خرجت الحركة من نطاق المعسكرات الى صميم الشعب وتحول التفكير الى تدبير وبدأ الاحرار يستعدون للضربة القاضية وحددوا مراحل التنفيذ ولكن المفسدين واجهوهم قبل ان ينفذوا خطتهم بان استصدروا امرا باغلاق النادي وحل مجلس ادارته وكان هذا التحدي بمثابة اول مسمار دق في نعش الفاروق .

انتهز الاحرار فرصة عيد الفطر فبعثوا بمنشور في بطاقات المعايدة الى اخوانهم قالوا فيه " نذكركم باهدافنا التي ترمي الى تكوين جيش قوي مطهر من الاذناب والخونة امثال طريد العدالة وغيره من اللصوص والمجرمين قادر على الدفاع عن مصالح الشعب لتحقيق صيانة استقلال الوطن وعقد الميراغي صفقة مع الولايات المتحدة واستحضر الات قتال بوليسية مدرعة يقاوم بها الثورة التي بدأت تتأجج في صفوف الجيش فاذاع الاحرار نشرة جاء فيها "

كان الاستعمار والخونة يأملون كثيرا من علي ماهر التسليم تسليما كاملا بمطالبهم بقبول حلف رباعي وحل البرلمان

يتبع

واعتقال آلاف الوطنيين واستعمال الاحكام العرفية للتنكيل بالشعب تنكيلا واسعا ولكن خاب رجاؤهم
ولم يجبهم علي ماهر الى مطالبهم وكان لا بد من احداث انقلاب جديد لتحقيق اهداف الاستعمار السابقة
وتحويل المعركة الى الداخل وهكذا وصل الهلالي الى الحكم بعد تدبير سابق اشترك فيه الخونة المصريون مع
الاستعمار .

ايها الضباط "

...... ان مهمة الجيش هي الحصول على استقلال البلاد وصيانته وان وجود الجيش في القاهرة انما هو
لاحباط مؤامرات الاستعمار التي ترمي الى التخريب والحريق واننا لم نقبل ضرب الشعب واطلاق النار على المظاهرات
الشعبية والقبض على الوطنيين يجب ان يفهم الجميع اننا من الشعب واننا سنقف مع الشعب دائما ولن نستجيب
دائما الا لنداء الوطن ...

وتولت وزارة حسين سري عامر الحكم وحاول رئيسها ان يعين اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية والبحرية فقد
كان على بينة من نار السخط التي تتأجج وتضطرم في صفوف الجيش ولكن الملك ابى الا ان يفرض اسم حسين سري
عامر وزيرا للحربية للبطش بالضباط والتنكيل بكل من تبدر منه بادرة من المعارضة والاحتجاج على الاوضاع القائمة
واستقال حسين سري عامر قبل ان ينفذ مآرب الملك وعاد الهلالي الى الحكم مرة اخرى وفي ركابه اسماعيل شيرين
صهر الملك . وتأزمت الامور وتلبدت الغيوم في الافق فعقدت هيئة الضباط الاحرار اخطر اجتماع في حياتها ووضعت
خطة محكمة للفصل في المسألة قضى اعضاؤها ليلتين لم تغمض لهم فيهما جفون واخيرا قرروا ان يخوضوا المعركة
معركة الفداء والتضحية وان يضعوا رؤوسهم على اكفهم .

كانت خطة بسيطة ولكنها تنطوي على افدح الاخطار بالنسبة الى القائمين على تنفيذها هي تنحية قواد الوحدات
المشكوك في اخلاصها للحركة واحلال غيرهم محلهم والتحفظ على اذناب الملك من كبار العسكريين والاستيلاء
على محطة الاذاعة وعلى مصلحة التلفونات ومحاصرة منطقة الثكنات العسكرية من العباسية الى الماظة وبذلك تصبح
العاصمة في قبضة ايديهم ويسيطرون على الموقف سيطرة مطلقة .

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شهر يوليو ١٩٥٢ استيقظت مصر باسرها
على صوت يدوي على اجنحة الاثير صوت سمعه العالم مع مصر يعلن ان الجيش قد قبض على ناصية الامور ليقضي
على الفساد الذي ينتشر والفوضى التي عمت والطغيان الذي ساد ويرد الى النفوس طمأنينتها والى الشعب
سلطانه . كان هذا الصوت هو اول بيان يوجهه اللواء اركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة
عن اهداف حركة التحرير وفيه يقول "

(اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الاخير من الرشوة والفساد وعدم الاستقرار في الحكم . وقد كان لهذه
العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون المغرضون في هزيمة الجيش في معركة فلسطين ...
وسيقوم الجيش بواجبه متعاونا مع البوليس وأطمئن اخواننا الاجانب على مصالحهم واعتبر نفسي مسئولا
عنهم والله ولي التوفيق) .

ولقد انصت الملايين من افراد الشعب الى هذا البيان وهم يتنفسون الصعداء من الكابوس الذي كان
جاسما فوق صدورهم كابوس الفساد والانحلال والفوضى . وادراك خصوم الشعب ان الامر ليس مجرد انقلاب

يتبع

عسكري دبره جماعة من رجال الجيش وانما تبينوا ان هذه الحركة جاءت نتيجة التطور الذي تكاثرت اسبابه ودواعيه منذ سنوات بفعل الاخطاء المتراكمة التي اتوها والاثام التي ارتكبوها .

اما الملك فقد كان في غيبوبة على اثر سهرة حمراء فقد حاول رئيس ديوانه ان يتصل به في قصر المنتزه ولكن دون جدوى واضطربت الامور داخل القصر ولم يفلح الهلالي في تهدئة الحالة فقد وجد الامر جد خطير والثورة على الابواب فقدم استقالته وحسب الملك ان محمد نجيب وصحبه من طراز الرجال الذين كان يستعبدهم بالمناصب والاغداق عليهم بالرتب والاوسمة ولم يكن يتصور ان الحركة ترمي الى تخليص البلاد من شروره بعزله من العرش وطرده من البلاد وشكل علي ماهر الوزارة بناء على طلب الجيش الذي كان يرمي الى القضاء على عناصر الخيانة والفساد والرشوة واقصاء كل من يتحاون على افساد الامة او انتهاك حرياتها وكان اول ما طلبه الجيش من وزارة علي ماهر اقصاء المشبوهين من رجال القصر ولما كان الملك هو راعي الفساد وسيد المفسدين فقد كان واجبا ان تكون الخطوة التالية اقصاء الملك عن العرش فتمهيدا لذلك فوجئت الاسكندرية في يوم الجمعة بقوات الجيش تحتل الساحات والمواقع الهامة وفي الساعة السابعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ضرب الجيش نطاقا حول سراي رأس التين وحوصرت القصور الملكية في القاهرة بالدبابات وطار اللواء محمد نجيب الى الاسكندرية بعد ان عقد اخطر اجتماع في مقر القيادة وذهب الى مقر رئاسة الوزارة وقدم الى الرئيس علي ماهر انذارا ليحمله الى الملك يطلب فيه باسم الامة النزول عن العرش ومغادرة البلاد على الفور فكان هذا الانذار رجع الصدى لمطالب عرابي التي سبق ان قدمها الى الخديوي توفيق وانطلق علي ماهر الى القصر على الفور وبين للملك خطورة الموقف وكاشفه بشأن الانذار وقدمه اليه ونصحه بضرورة الاجابة فما كان من الملك ان استجاب للامر واستسلم له بعد ان طالع وثيقة النزول مثنى وثلاث ورباع . وبيد مرتعشة وقع فاروق اسمه مرتين على الوثيقة فكانت آخر ورقة وقعها وهو في ارض مصر وهذه صورة عنها .

نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان . لما كنا نتطلب الخير دائما لامتنا ونبتغي سعادتها ورقيها ولما كنا نرغب رغبة اكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة . نزولا على ارادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الامير احمد فؤاد واصدرنا امرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه (امر ملكي رقم ٦٥ سنة ١٩٥٢)

صدر بقصر راس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١ ــ ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .

مراحل الثورة وتشريعاتها

سارت حركة الجيش مؤيدة الجانب مسددة الخطى في طريقها المرسوم بفضل تضافر القوة وخلوص النية فقرت الاوضاع وسهرت على المصالح العليا للبلاد بعيون يقظة . فكانت مرحلتها الاولى ان شرعت باقصاء المفسدين الذين تآمروا على سلامة الوطن وفي طليعتهم بطانة الملك السابق ورجال الحاشية وتمكن رجال الجيش من القبض على بعض ضباط القلم السياسي الذين سعوا لبلبلة الافكار وبث القلق في النفوس ثم صدر الامر بالغاء البوليس السياسي وقد كان اداة ارهاب على الشعب .

وقع اختيار رجال الجيش على علي ماهر رجل الساعة ليكون رئيسا للوزارة وما ان غادر الملك السابق البلاد حتى اعلن مجلس الوزراء انه منذ يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ قد تولى سلطات الملك الدستورية باسم الامة المصرية وتحت

يتبع

مسئوليته الى ان يحين الوقت الذى يجب عليه ان يسلم مقاليدها الى مجلس الوصاية الموقت وفقا لاحكام مجلس الدستور • ولم يكن خلع فاروق هو غاية الثورة وانما كان وسيلة لتحرير الشعب من نير كل كابوس سياسي او احتكار اقتصادى واستعباد اجتماعي •

لذا تقدمت القيادة العامة بعدم مطالب الى الرئيس علي ماهر لاصدار قوانين بمشروعات لرفع مستوى الشعب منها الغاء الرتب والالقاب • الغاء البوليس السياسي • اعادة التحقيق في قضية الاسلحة الفاسدة • تنظيم الاداة الحكومية وتطهيرها والقضاء على الفوضى بتأليف لجان تطهير بين الموظفين وتنفيذ قانون الكسب غير المشروع وعدم اللجوء الى الضرائب •

الا ان وزارة علي ماهر لم تأت باغراض الثورة واهدافها بالسرعة التي يطلبها رجال الثورة كما ان القيادة اخذت على الوزارة انها تمضي في اصلاحات عادية لا تتصل بجوهر الحياة وقد اصدرت تشريعا بزيادة الضريبة على الدخان فامتعض رجال الحركة ولم يقروه لان فيه عبئا يقع على كاهل الفقير قبل الغني • وجاءت ازمة ولي العهد اذ كان من رأى علي ماهر ان يعلن ان الامير محمد علي هو المرشح الطبيعي لولاية العهد •

كانت هذه المسائل او بعضها مدعاة لان يتنحي علي ماهر عن الحكم وتسند رئاسة الوزارة الى زعيم الحركة اللواء محمد نجيب الذى شكل وزارته من رجال كفء يثق الشعب بنزاهتهم وقدرتهم على تحمل اعباء الحكم والاطلاع بالمسئوليات الجسام والعمل لخير المجموع •

تشريعـــات الثـــورة

كانت اول ما سعت اليه وزارة الرئيس محمد نجيب هو ازالة الانقاض المتراكمة من العهود الفاسدة تمهيدا لاعادة بناء الوطن وتحقيق نهضته وتوفير العدالة الاجتماعية بين بنيه وذلك باصدار سلسلة من التشريعات والقوانين المستمدة من القلوب المؤمنة بحق الشعب •

كان في مقدمة هذه التشريعات قانون الاصلاح الزراعي الذى جعل الارض لمن يزرعها وتحديد اجر العامل الزراعي وايجار الارض وخفض ايجار المساكن والاماكن ومشروعات الرى التي تحيل مصر الى مناطق خصب ورخاء عميم •

وردت حكومة الثورة ما اغتصبه الملك السابق من الحقوق والممتلكات الى ذويه واطاحت بالمخصصات الملكية واعادت الحكومة التحقيق في الجرائم السياسية الخطيرة واغتيالات الزعماء كالشهيد حسن البنا والشهيد المرحوم عبد القادر طه احد ضباط الاحرار واعيد التحقيق في قضية الاسلحة الفاسدة ولقد انشأت حكومة الثورة (المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي) الغرض منه ان يقوم ببحث المشروعات الاقتصادية التي يكون من شأنها تنمية الانتاج القومي في النواحي الزراعية والصناعية والتجارية وما يتصلق بها من مشروعات الرى واستصلاح الاراضي البور والاراضي الصحراوية وتنويع المحصولات وتحسين وسائل الزراعة وتخصيص المناطق الزراعية وتنمية الانتاج الحيواني •••• الى غير ذلك من المشاريع التي لا يتسع المجال لذكرها •

سقـــوط الدستـــور في عهـــد الثـــورة

ان التجارب التي مرت بها الامة المصرية منذ ان صدر دستور ١٩٢٣ قد كشف النقاب عن ان الدستور لم يكن يساوى ثمن المداد الذى كتب به فهو لم يطبق نصا ولا روحا وكم من مرة عطلت فيها الحياة النيابية وانتهكت الحدود

يتبـــع

الامها الدستور لمنع طغيان السلطات بعضها على بعض • ولقد هاجم سعد زغلول دستور عام ١٩٢٣ على اثر
من العلن فقال عنه " انه دستور يضمن مسئولية الامة امام الوزارة لا مسئولية الوزارة امام الامة وتعرض ــ
ستور للاعتداء عليه عدة مرات ايام محمد محمود سنة ١٩٢٨ وايام حكم اسماعيل صدقي سنة ١٩٣٠ اللذين كانــا
طئين مع الملك تؤاد على العبث بالدستور واهدار صوت الشعب وحكمه بالحديد والنار ••

ثم جاءت حكومة الثورة فوجدت من اول واجباتها بعد ان تجلى الوعي القومي وبلغت شادها ان هذا الدستور
يعد صالحا لحياة حرة كريمة في ظل التحرير فاعلنت سقوطه والفت لجنــة مكونة من مختلف طبقات الشعب وذوى ــ
ات واصحاب الرأى وذوى الخبرة لوضع مشروع دستور يحقق واهداف الثورة والى ان يتم اعداد هذا الدستور تتولى
طات في فترة الانتقال حكومة الثورة •

وفي يوم ٢٠ فبراير اعلن الرئيس محمد نجيب باسم قيادة الثورة دستورا موقتا اعلن فيه ان الامة مصـــــدر
طات كما اعلن مبدأ المساواة بين المواطنين وكفالة حرياتهم الشخصية وحماية عقائدهم وبين حدود السلطات
ئة بامور الحكم في فترة الانتقال وطريقة تعاونها والى ان احكام القضاء تصدر باسم الامة وليس باسم الملك •

لمحــة عن حيــاة اللــواء محمــد نجيــب

تخرج محمد نجيب من صلب الشعب ومن والدين فلاحين كما يخرج جميع الافذاذ والنوابغ وسرعان ما غمرت
ة مصر بقوتها وعظمتها • ولد في الخرطوم في ٢٠ فبراير عام ١٩٠١ من اسرة متوسطة وهذا هو سر اهتمامــه
السودان الذى ولد فيه ونشأ وترعرع في احضانه وسر اهتمامه بمصالح الطبقات الكادحة التي تعمل في صمت
في اخلاص •

كان والده يوسف نجيب يوزباشيا في الجيش ثم مأمورا في لوادى حلفا في حكومة السودان اما والدته فمصرية
ونشأت في السودان وبلدة اسرته هي النحارية بمركز كفر الزيات بالوجه البحرى وافرادها قوم صلاب من صميم
ومن الفلاحين المناضلين الذين تحملوا زمنا عسف الحكام الاتراك وانتصروا عليهم وكانت لهم في ذلك موقـــف
ة فاكتسب هو من صفاتهم الصلابة وشدة المراس وحب التدين •

التحق بمدارس السودان الى ان اتم دراسته الابتدائية فالثانوية ثم وفد على مصر في بداية عام ١٩١٧
ق بالمدرسة الحربية بالقبة وتخرج منها عام ١٩١٨ ورقي الى رتبة ملازم اول في عام ١٩٢٤ والى يوزباشـــي
١٩٣١ وظل يرقى في سلم المناصب العسكرية الى ان وصل الى رتبة اللواء في ٩ ايلول ١٩٥٠ وفي سا ٥ ٢
م ١٩٥٢ اعلن الملك السابق ترقيته لرتبة الفريق مع منحه مرتب وزير غير انه بعد تناول الملك عن العرش
تنازله عن هذه الرتبة ومرتب الوزير وظل برتبته اللواء التي لا يزال يشغلها الى اليوم •

لم يقنع نجيب بثقافته العسكرية بل دفعه طموحه وحبه للعلم الى التفرغ للدراسة في اوقات فراغه فحصل
اجـازة الحقوق عام ١٩٢٧ ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي عام ١٩٢٩ ودبلوم الدراسات
ا والدكتوراة في القانون الخاص عام ١٩٣١ حاز هذه الاجازات ولا يزال ضابط صغير ثم نال اجازة الكليــــة
ة عام ١٩٣٩ وارسل في رحلة علمية الى انكلترا لمشاهدة منشأتها • جاب السودان كله في صغره مع والــده
م في مختلف اسلحة الجيش من مشاة وفرسان وهجانه وسيارات مصلحة ومدافع ماكينة وقد عرف عنه انه شديد

يتبـــع

لتمسك برأيه ومن هنا كان الخلاف ينشأ بينه وبين روءسائه ولكن احدا لم يمسه بسوء لكفاءته وقدرته .
شترك في حرب فلسطين وابلى فيها بلاء حسنا وعاد منها ليوءسس جمعية مشوهي الحرب الذى تولى رئاستها في سبيل
تحقيق فكرتها والنهوض برسالتها الانسانية . وفي عام ٩٥١ انتخب باغلبية ساحقة رئيسا لاول مجلس ادارة ـــ
نتخب لنادى ضباط الجيش وكان هذا الانتخاب هو الشرارة الاولى في معركة التحرير . وفي اواخر عام ١٩٥١ بدأت
لازمات تشتد وتتكرر بينه وبين رجال القصر فرشح ثلاث مرات لتولي وزارة الحربية والبحرية في عهد وزارات علي ماهـــر
لهلالي وحسين سرى ولكن الملك السابق كان يقف دون ذلك لما يعلمه من حب الجيش له وقد اقترح قبل قيام حركـــ
شرفصله من الخدمة ولكن الثورة سبقت ذلك .

السودان وحكـــومة الثـــورة

حكومة الثورة فمن حسن حظ مصر ان وجد على راس حكومتها رجل ولد ونشأ في السودان ويوءمن بحق السودانيين
تقرير مصيرهم وقيام العلاقة بين شطرى الوادى على اساس سليم . وبدأ الرئيس نجيب العمل والى جانبه نخبة ممتازة
رجاله الاكفاء وعلى رأسهم الصاغ صلاح سالم وقائد اللواء حسين ذو الفقار والاستاذ الشيخ الباقورى وكانت الخطوة
ى ان هيأ الرئيس الجو المناسب للاجتماع بزعماء السودان في القاهرة وفي طليعتهم السيد عبد الرحمن المهدى ـــ
رت هذه الاجتماعات عن وجوب التضامن والتساند بين الاحزاب السودانية نفسها توطئة لتوقيع ميثاق موحد مع مصر
حق السودانيين في تقرير مصيرهم وزوال النفوذ الاجنبي وتقييد سلطة الحاكم العام .
لعب الصاغ صلاح سالم دورا ديبلوماسيا بارعا فاستطاع ان يجمع بين الاحزاب السياسية كافة وان يوءلف بين اهـــل
واهل الجنوب ونجح في ان يضمهم الى فكرة الوحدة وحق تقرير المصير ولقد اذاعت مصر بيانا لمناسبة توقيـــع
الموحد ذكرت فيه ان مصر التي توءمن بالحرية والتي تعتبر السيادة على وادى النيل في حدوده للمصريين ـــ
دانيين على السواء ترحب بممارسة اهالي السودان الحكم الذاتي التام وتصرح بانها تحتفظ للسودانيين بحقوقهم في
ة على بلادهم الى يوم تقرير مصيرهم بانفسهم وان مصر لترحب على الدوام بصداقة السودان الشقيق واخوة ـــ
نيين في كل صورة يختارونها عند تقرير المصير .
الخطوة الثالثة اجراء مفاوضات سياسية مع بريطانيا التي انتهت الى وضع اتفاقية تتناول فترة انتقال مقدارها ثلاث ـــ
وقيام حكومة ذاتية على راسها حاكم السودان ولجنة مشرفة على هذه العملية مع سودنة البلاد والادارة تدريجيـــ
ستفتاء مع سحب القوات المصرية والانجليزية لهذا الغرض وبذلك صار السودان حرا في اختيار الاستقلال او ـــ
مع مصر . وفيما يلي مشروع هذه الاتفاقية .
حكومة المصرية تصريحا تضمنه الاتي .
تعتبر السودان بحدوده الجغرافية الحالية وحدة لا تتجزأ .
نها توءمن ايمانا وطيدا بحق السودانيين في تقرير مصيرهم وترحب بممارستهم للحكم الذاتي الكامل قبل نهايـــة
٩٥ وتصرح بانها تحتفظ لهم بحقوقهم في السيادة الى يوم اقرير مصيرهم بانفسهم اذا ما قرر مصيرهم ـــ
حترم قرارهم .
رغبة في بلوغ هذا الهدف (تقرير المصير في حرية تامة) تكون هناك فترة انتقال لغرضين .
تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتي الكامل .

ب - تهيئة الجو الحر المحايد الذي لا بد من توافره لتقرير المصير .

د - لما كانت فترة الانتقال هي تمهيد لانهاء الادارة الثنائية انهاء فعليا واجلاء لنفوذ الاجنبي فتعتبر هـــذه الفترة تصفية لهذه الادارة وهذا النفوذ وتعلن الحكومة المصرية ان السيادة على السودان ينبغي ان يحتفظ بهــا للسودانيين ابان فترة الانتقال .

تعديل الدستـــــــــــور

تأكيدا وتحقيقا للاهداف المذكورة يعدل الدستور المقترح للحكم الذاتي في السودان على اساس ان يحددوه الجغرافية الحالية وحدة لا تتجزأ طوال فترة الانتقال على النحو التالي "

اولا - السلطة العليا

- تتمثل السلطة الدستورية العليا اثناء فترة الانتقال في "

١ - الحاكم العام .

٢ - اللجنة العليا المكونة من ٦ اعضاء من مصري وبريطاني وهندي وباكستاني ترشحهم حكوماتهم وثلاثة سودانيين تعينهم الحكومتان المصرية والبريطانية بالاتفاق بينهما ويتم هذا التكوين قبل قيام البرلمان على ان يعتبر نهائيا .

يباشر الحاكم العام سلطاته بالطريقة المبينة في نظام الحكم الذاتي الا فيما يتعلق بسلطاته التقديرية الموضحة في ... التعديلات المرفقة والتي يباشرها بموافقة اللجنة العليا . ويظل الحاكم العام مسئولا لدى الحكومتين القائمين بالتصفية في المسائل الاتية .

١ - كل ما هو خارج عن الشئون الداخلية البحتة .

٢ - اي تغيير يرى البرلمان السوداني ادخاله على اي جزء من نظام الحكم الذاتي .

٣ - اي قرار يتخذه اللجنة ويرى الحاكم العام انه يتعارض مع مسئولياته الخاصة على انه يجب في هذه الحالة ان يصل رد الحكومتين في خلال شهر واحد من تاريخ الاخطار الرسمي ويكون قرار اللجنة نافذا الا اذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك .

ثانيا - تعديل قانون الانتخابات

- بحيث تصبح مباشرة او غير مباشرة كما هو مبين في ملحق الدوائر المرفق .

ثالثا - انشاء لجنة لمراقبة الانتخابات

- ومهمتها الاشراف العام على الانتخابات في كل الدوائر المباشرة وغير المباشرة على ان تبتدىء هذه الانتخابات في وقت واحد في الربع الاول من سنة ١٩٥٣ .

رابعا - لجنة السودنة واختصاصات هذه اللجنة كالاتي

ا - الاسراع في سودنة الادارة والبوليس وقوة دفاع السودان وغير ذلك من الوظائف الحكومية التي قد يقع منها تأثـــير على حرية السودانيين عند تقرير مصيرهم .

ب - للجنة ان تضم اليها عضوا او اكثر وفق ما ترى ويعمل هذا العضو بصفة استشارية على الا يكون له حق التصويت

ج - تتخذ اللجنة قراراتها باغلبية الاصوات وترفعها للحاكم العام للتصديق عليها .

د - على لجنة السودنة ان تتم مهمتها في مدة لا تتجاوز الثلاث سنوات حتى لا يتأثر تقرير المصير باي نفوذ اجنبي .

يتبـــع

هـ ــ يشترط ان تتوخى هذه اللجنة المحافظة على درجة معقولة من الكفاءة بحيث لا يتدهور مستوى الادارة وان تبدأ سودنة الوظائف الهامة اولا .

خامسا ــ الوزارة السودانية . تقوم خلال فترة الحكم الذاتي حكومة ائتلافية سودانية تشكل من كل الاحزاب الممثلة في مجلس النواب والمستقلين بنسبة مالهم من مقاعد .

سادسا ــ الترشيح للانتخابات . يعتزل ناظر القبيلة او شيخ الخط او رئيس او عضو محكمة او اي موظف له صفة ادارية او قضائية عند ترشيحه للانتخابات .

سابعا ــ رئيسا المجلسين .

١ ــ ينتخب رئيسا لكل مجلس بواسطة اعضائه على ان يصدق على تعيينه الحاكم العام .

٢ ــ يلاحظ في رئيس المجلس الاستقلال والحيدة التامة فاذا لم يوجد انتخاب اقربهم الى هاتين الصفتين على ان يقدم استقالته مكتوبة من الحزب الذي ينتمي اليه .

ثامنا ــ فترة الانتقال . تبدأ فترة الانتقال بتكوين اللجنة العليا ((السداسية)) مع مراعاة اتمام السودنة المشار اليها وتنتهي هذه الفترة بناء على تقدم البرلمان السوداني برغبته في ذلك وموافقته الحكومتين القائمتين بالتصفية على ان لا تتجاوز مدة فترة الانتقال هذه الثلاث السنوات المنصوص عليها .

تاسعا ــ الجمعية التأسيسية . عند تصديق الحكومتين على تاريخ انتهاء فترة الانتقال التي يجب ان لا تتجاوز ثلاث سنوات تعد الحكومة السودانية القائمة آنذاك مشروعا بقانون انتخاب جمعية تأسيسية تقدمه للبرلمان للحصول على موافقته ويصدق الحاكم العام على القانون بالاتفاق مع اللجنة العليا ويتفق عندئذ على الضمانات التي تكفل حرية الانتخابات وحيادتها .

عاشرا ــ الجلاء العسكري . يتم جلاء القوات العسكرية من السودان بسحب جميع القوات العسكرية البريطانية والمصرية من السودان قبل انتخابات الجمعية التأسيسية بسنة واحدة على الاقل .

احد عشر ــ تقرير المصير . يكون تقرير المصير بواسطة الجمعية التأسيسية اما بالارتباط مع مصر او باعلان الاستقلال التام .

اثنى عشر ــ احترام قرار الجمعية التأسيسية . تتعهد مصر وبريطانيا كتابة منذ الان باحترام قرار الجمعية التأسيسية بشأن مصير السودان وعلى ان تتخذ كل من الحكومتين من جانبها جميع التدابير اللازمة التي تكفل تنفيذ هذا القرار . ولا يفوت الحزب الوطني السوداني ان يقرر حقيقة لا يمكن ان ينكرها احد وهي الشعبين السوداني والمصري وقد ربط الله بينهما بروابط عديدة لا يمكن لاحد ان يتجاهلها حفظا للمصالح العديدة المشتركة بينهم .

الخاتمـــــــــــــــة

تلك المراحل التاريخية التي مرت في السودان والاضطرابات السياسية التي شملتها منذ دخول الانكليز اليه حتى يومنا هذا لم تكن الا نتيجة اطماع سياسية واقتصادية يدبرها الانكليز رغبة في تحقيق اهداف يرسمها لنفسه فيه منذ زمن بعيد ، اذ ما هي حجة الانكليز في استمرار نفوذهم في السودان وما غرضهم الذي يسعون اليه من العمل على هدم وحدة الوادي وفصل الجنوب على الشمال ؟

الحقيقة ان للانكليز مصالح اقتصادية واستراتيجية في هذا الجزء من افريقيا وهي العامل الحقيقي في تمسك الانكليز بحكم السودان والانفراد بالسلطة فيه والسعي الى ابعاد المصريين عنه ابعادا تاما ، ولئن تحقق للانكليز في السودان بعض ما كانوا يهدفون اليه فلأن السودان كان في حالة بدائية متأخرة اما اليوم فقد تبين فيه الوعي القومي وانتشرت الحضارات بين سكانهم وتغلغلت الحرية والاستقلال بين صفوف سكانه اصبح من العسير ان يرضخوا لمستعمر او مستبد وخصوصا بعد ان رأى السودان بام عينه خفايا اسرار الانكليز واغراضه الاستعمارية .

ورغم ذلك نرى ان الانكليز لجأ الى مناورة جديدة تتفق والظرف الجديد باعلان الحرص على رفاهية السودانيين بـ المطالبة باستشاراتهم وبان يكون لهم حكم ذاتي يقضي في آخر الامر الى تقرير المصير الا انهم لا يريدون الخير للسودان وهم يدعون انهم يعملون على تمتعه بالحكم الذاتي وتقرير المصير ولكنني اراها خديعة يرمون بها الى استمرار حكمهم في السودان لاطول مدة ممكنة يتسع لهم فيها العمل منفردين تحت ستار مشيئة السودانيين والدليل على ذلك ان كلامهم المعاد عن الحكم الذاتي تمخض عن نظام الجمعية التشريعية التي لا حول لها ولا قوة بينما ارادت مصر للسودان هيئة تشريعية تتمتع بنصيب وافر من السلطات وتكون ممثلة للسودانيين خير تمثيل .

لهذا فليزود المواطنون في جنوب الوادي ادراكا وانتباها لهذا الخطر المزدوج الجسيم وليوحدوا الصفوف لا تتقاسمه وليجمع الرأي على ان تكون كلمتهم للانكليز (اخرجوا انتم اولا واتركونا والمصريين نتفق على ترتيب بيننا في نجوة من الدخلاء الطامعين) والان وقد وجدت حكومة واقصد بذلك حكومة الثورة) تستطيع الوصول الى اتفاق مع الدوسانيين بعد ان قطعت بذلك شوطا بعيدا ولقد كانت جميع الحكومات السابقة تجعل من مسألة السودان كمسألة الجلاء ميدانا للمزايدة والنقصان نتيجة الحزبية التي تفسد كل شيء وخاصة في السنوات الاخيرة .

لذلك فالاتفاقية المزدوجة التي وقع اليها الرئيس محمد نجيب وصحبه الابرار في توحيد صفوف السودانيين جبهة واحدة كانت خطوة جبارة غرضها مصلحة الوادي شماله وجنوبه ومهما يكن رأى السودانيين في تقرير مصيرهم فانني ارى ان الاخوين الشقيقين لا يمكن ان يؤثر في علاقاتهما بعد الان اى مؤثر سواء اكان في عيشة واحدة وهي افضل لخير مصر والسودان او كان كل منهما مستقلا على اخيه وكل ما ارجوه هو ان يوفق الله الجميع لما فيه صالح الوادي وابنائه ولسوف تتحقق اهداف هذين القطرين طالما ان هدف اولي الامر الاتحاد والنظام والعمل .